المقتطف

الجزء الثامن من المجلد الثامن والعشرين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٧ جماد اول سنة ١٣٢١

البابا ليون الثالث عشر

لا يسع مؤرخ القرن التاسع عشر الاَّ ان يعقد فصلاً طويلاً للبابا ليون الثالث عشر واعمالهِ العمومية في الربع الاخير من هذا القرن ولو تجنَّب كل بحث ديني في تاريخهِ لان اعمال

هذا الحبر العظيم احلَّتهُ ارفع محل بين رؤَساء الاديان المهتمين بمصالح العباد الدينيَّة والدنيويَّة
وهو من اسرة ايطالية كريمة النسب ولد في الثاني من شهر مارس سنة ١٨١٠ وكان يفتخر بنسبهِ واهتم في حداثتهِ بجمع شجرة عائلتهِ . وُضع في مدرسة اليسوعيين بفتربو وعمرهُ ثماني سنوات ثم نقل الى مدرستهم في رومية (كولاجيو رومانو) وكان كثير الدرس بالغ الاجتهاد فنال رتبة الدكتورية وعمرهُ اثنتان وعشرون سنة . واتجهت اليهِ الانظار وبدت همتهُ وغيرتهُ على مصلحة الجمهور في تخليص دوقية بنيفنتو من عبث اللصوص . وارتقى في المناصب الكهنوتية حتى سيم اسقفاً لمدينة دمياط (بالاسم) وارسل الى بلاد البلجيك "قاصداً" رسوليًّا ولم يكن يعرف كلمة من اللغة الفرنسويَّة حينئذٍ فعكف على درسها ولم يصل الى بلجكا الَّا وقد صار يعرف من هذه اللغة ما يكفي للتكلُّم بها . واقام في بركسل ثلاث سنوات درس فيها مبادئ حكومتها الدستوريَّة وكان يديرها ليوبولد الاول اعقل ملوك اوربا وهي على ضد ما كان جاريًا في المدن الايطالية حينئذٍ . ويقال ان ذلك اثَّر في نفسهِ وفي توجيه افكارهِ وظهرت نتيجتهُ فيهِ لما رقي الى السدَّة البابوية . الَّا ان احد عارفيهِ وهو الوزير رتازي الايطالي قرين كافور قال عنهُ ما يدلُّ على ان ما بدا منهُ كان خلقيًّا غير مكتسب ففي كتاب بعث بهِ الى زوجتهِ يقول "تكلمتُ كثيرًا منذ مدة عن الكردينال بتشي (وهو اسم عائلة البابا لاون الثالث عشر) مع الملك ليوبولد احكم ملوك اوربا واشدهم فراسةً وكان قد عاشرهُ ودرس اطوارهُ لما كان قاصدًا رسوليًّا في بلجيكا وعندهُ انهُ لا يتساهل الَّا في الامور الطفيفة وتساهلهُ يكون في العرض لا في الجوهر مع ما هو متَّصف بهِ من سمو العقل والاستقامة التامَّة والاحترام الجزيل للسلطة المدنية . وسيكون اشدَّ خضوعًا من سائر الاساقفة لما تقضي بهِ العناية ولكن تعلقهُ بالسدَّة البابوية بالغ الدرجة القصوى والمبادئ التي يجري عليها ثابتة في نفسهِ لا تتغير وهو شديد العزيمة لا يحول عن امر عقدنيتهُ عليهِ . وحقًّا انهُ من الرؤَساء الذين يضطرُّ المرء ان يحترمهم ويعجب بهم"

ونقل من بلجيكا وجعل اسقفًا لبروجيا ثم جعل كردينالاً سنة ١٨٥٣ ولكن لم يُشرَك في تدبير امور الكنيسة الَّا بعد اربع وعشرين سنة فقضى هذه المدة في تدبير امور رعيتهِ على مقتضى طرق الاصلاح الحديثة فانشأ بيوت الايتام ومستشفيات المرضى وملاجئ المنقطعين واتاها بالمديرين من بلاد البلجيك واصلح سكك البلاد ورمم الكنيسة الكبرى وبنى ٣٦ كنيسة جديدة . اما العمل الذي اهتمَّ بهِ اكثر من غيرهِ فهو نشر التعليم الابتدائي والثانوي والعالي وتعليم خدَمة الدين العلوم الدنيوية . وكان وهو في بلجيكا قد شارك اهل النهضة الكاثوليكية

الحديثة التي نشأَت في مونخ حاسبًا ان الخطر الذي تخشاهُ الكنيسة من العلوم الحديثة والافكار الجديدة لايدفعهُ الاَّ اناس يعرفون العلوم الدينيَّة والعلوم الدنيوية معًا. وحثَّ على تعليم خدَمة الدين علم الفسيولوجيا والكيمياء والجيولوجيا وما اشبه من العلوم الطبيعيَّة وكذلك التاريخ السياسي وحوادث الايام. ثم توسَّع في هذه الآراء لما رقي الى السدَّة البابوية ونشر منشوراتهِ المختلفة فان مدارها على حاجة الكنيسة السياسيَّة والاجتماعية وعلى الاتفاق بين تعاليمها والتقدُّم العقلي والادبي . وكان يحسب ان الزمان خير مصلح وما لا يتمُّ في عصرهِ من الاصلاح المطلوب يتم في عصر خلفائهِ. ولم يسلم بحق الحكومة الايطالية في نزع السلطة المدنية من يد البابوات ولكن حكمتهُ واعتدالهُ احلاَّهُ محلاً رفيعًا في عيون رجال السياسة الايطاليين

وتوفي الكردينال انطونلي سنة ١٨٧٦ وكان بمثابة وزير الداخلية في الفاتيكان فدعاهُ البابا بيوس التاسع الى رومية وجعلهُ مديرًا للخزينة البابوية خلفًا عن الكردينال انجلس لان الكردينال انطونلي كان يعرف قدرهُ ويحسبهُ مناظرًا لهُ على ما يقال فابقاهُ بعيدًا عن رومية. وتوفي البابا بيوس التاسع في ٧ فبراير سنة ١٨٧٨ واجتمع مجمع الكرادلة في ١٨ منهُ وكان فيهِ ٦٢ كردينالاً ووقع الانتخاب عليهِ في الاجتماع الثاني فانتخب باربعة واربعين صوتًا

علاقتهُ الخارجية

مع ايطاليا — جرى على سياسة سلفهِ في حسبانهِ الحكومة الايطالية مهتضمة لحقوق الكرسي البابوي لكنهُ لم ينفك عن حسبان الايطاليين اولادًا للكنيسة فلما دارت الدائرة على جنودهم في بلاد الحبشة وأُسر كثيرون منهم اوفد وفدًا خصوصيًّا الى الملك منلك ليسعى في نجاتهم من الاسر لكنهُ فعل ذلك من باب ديني محض لا من باب سياسي

مع المانيا — لقد اجتهد في تمكين علاقات الكنيسة الكاثوليكية مع كل حكومات العالم ماعدا الحكومة الايطاليَّة وكتب يوم انتخابهِ الى امبراطور المانيا وقيصر روسيا ورئيس جمهورية سويسرا يخبرهم بذلك ويطلب منهم الرفق بالكاثوليك القاطنين في بلدانهم . وكانت الحرب الدينية مستعرة في المانيا حينئذٍ لكن الحكومة الالمانية كانت قد ملَّتها لا سيما وان بسمارك كان قد اخذ في مناضلة الاشتراكيين ودَّ ان تكون لهُ اصوات الكاثوليك في مجلس النوَّاب ففازت رومية ولبى بسمارك مطالبها . وحكَّمت المانيا قداستهُ في الخلاف الذي كان بينها وبين اسبانيا فسرَّ بذلك وأَبى ان يتخذ منزلة الحكَم لكنهُ امعن نظرهُ في الخلاف الذي بينهما مليًّا وعرض عليهما حلاًّ ارضاهما وزارهُ امبراطور المانيا الحالي سنة ١٨٨٨ ثم زارهُ ثانية سنة ١٨٩٣ هو وزوجتهُ وقامت المانيا مقام الحامي للكاثوليك من الالمان في الشرق فلم يعترض على

ذلك ولا ايده رسميًّا لئلاَّ يغيظ فرنسا التي كانت تحسب دائمًا حامية الكاثوليك في الشرق. وقد كسبت رومية في المانيا قدرما خسرتهُ في فرنسا او اكثر

مع فرنسا — لقد ابدت الحكومة الفرنسوية كل ما امكنها ابداؤُهُ من دلائل الاستقلال عن رومية والمخالفة لها واعترض البابا على ذلك شديد الاعتراض لكنهُ حضَّ الكاثوليك على وجوب طاعة الحكومة لان ذلك اساس الراحة والامن وصرَّح علانية ان الحكومة الجمهورية هي الحكومة التي اختارها الفرنسويون لانفسهم فطاعتها واجبة عليهم لكن الحزب الاكليريكي قويٌّ في فرنسا وغير راضٍ عن الحكومة الحاضرة ولولا شدَّة رغبة رومية في مسالمة الجمهورية الفرنسوية لما صبرت على ما يصيب هذا الحزب من الضيم ولولا صبرها لكانت العاقبة اوخم

مع انكلترا — كان يكرم المرحومة ملكة الانكليز شديد الاكرام ويعجب بسياستها وكانت هي تحترمهُ وتجلُّ مقامهُ. واتفق ان قام في بلاد الانكليز في هذه الاثناء رجلان عظيمان من افضل رجال المذهب الكاثوليكي وهما الكردينال نيومن والكردينال مننغ فسيرة هذين الفاضلين وكتاباتهما وسعي الراهبات في اعمال الرحمة واتساع ابواب المعاشرة والمخالطة كل ذلك ساعد على ازالة النفور القديم المستحكم بين البروتستانت والكاثوليك وتطرَّف بعض قسوس البروتستانت وطلبوا ان يجروا في رسوم كنيستهم على مثال كنيسة رومية حتى حسب البابا ان اتحاد الكنيسة الانكليزية بالكنيسة الرومانية امرٌ قريب او ممكن وحثَّ رؤساء الكنيسة الانكليزية على هذا الاتحاد ولكنهُ طلب مطالب يستحيل ان يقبلوا بها ولولا ذلك ما كان هذا الاتحاد مستحيلاً

مع النمسا — اما علاقتهُ مع حكومة النمسا والمجر فيقال انها لم تكن على تمام المسالمة لكن الواقفين على تفاصيل الامور يقولون انهُ لم يكن في امكانهِ ان يجري معها على غير ما جرى عليهِ وكانت علاقتهُ مع امبراطور النمسا والمجر على تمام المودة والصفاء لان الامبراطور من اتقى الناس واشدهم تمسكًا بالسدَّة البابوية وقد امتنع عن رد الزيارة لملك ايطاليا في رومية لكي لا يغيظ قداستهُ

مع روسيا — كانت العلاقات السياسية مع روسيا قد انقطعت في عهد البابا بيوس التاسع فلما رقي البابا ليون الثالث عشر الى السدَّة البابوية كان اول شيء فعلهُ انهُ كتب بيدهِ كتابًا الى قيصر الروس يعلمهُ بذلك وكتب اليهِ ايضًا يهنئهُ بالنجاة من مكايد النيهلست سنة ١٨٧٩ و١٨٨٠ فتساهلت روسيا كثيرًا في تعيين الاساقفة للكاثوليك من رعاياها واحسنت معاملتهم وردت اسقف ورسو من منفاه في سيبيريا . وبعث البابا منشورًا الى

اساقفة بولندا سنة ١٨٩٤ اوجب فيهِ عليهم "ان يبذلوا الجهد حتى تتأصل في نفوس الكهنة والرعية مبادئ الاحترام لاهل المناصب والخضوع للشرائع والقوانين" وبعث سفيراً خصوصياً الى موسكو سنة ١٨٩٦ لحضور الاحتفال بتتويج القيصر الحالي وكان اول ناصريهِ في المؤتمر الذي عقد لمنع الحرب او لتقليل المعدات الحربية

هذا ومما تذكرهُ لهُ المجلات العلمية بالشكر انهُ فتح ابواب مكتبة الفاتيكان لكل طلبة العلم من كل الامم والمذاهب من غير تمييز وابتاع كتب قصر البرغازي واضافها الى مكتبة الفاتيكان وامر بان ينتقى من كتب المراجعة (كالقواميس ودوائر المعارف) ثلاثون الف كتاب توضع وحدها تسهيلاً لمراجعتها. وصُورت التوراة المعروفة بالنسخة الفاتيكانية وطُبعت ونشرت. واضيفت الآلات اللازمة الى مرصد الفاتيكان وسلّمت ادارتهُ الى فلكي ماهر

وكانت وفاتهُ في التاسع عشر من شهر يوليو الساعة الرابعة بعد الظهر على اثر اعتلال طويل

اقتسام المسكونة

قام الفاتحون في سالف العهد ودوّخوا الممالك فغنموا اموالها وسبوا سكانها او ضموها الى بلادهم فساسوها وجبوا منها الخراج وعبأوا الجنود. كذا فعل ملوك مصر وبابل واشور واقتفى خطواتهم ملوك اليونان والرومان ثم خلفاء العرب ولا تزال هذه المناظرة بين الشرق والغرب ولكن اهالي الغرب اي اهالي اوربا ونسلهم في اميركا قد حملوا على الشرق حملة عنيفة في السنين الاخيرة فامتلكوا افريقية كلها ما عدا مراكش والحبشة وطرابلس الغرب وكادت مصر تعدُّ من املاكهم لان لهم فيها السلطة التامة. وخرجت انكلترا من هذه المعمعة بثلاثة ملايين من الاميال المربعة ما عدا مصر والسودان. وفرنسا باربعة ملايين ميل. وكلٌّ من المانيا والبلجكا بمليون ميل واسبانيا والبرتغال بمليون ميل وايطاليا باكثر من نصف مليون. لكن ليس العبرة باتساع البلاد بل بما فيها من السكان والخيرات ولذلك فنصيب انكلترا من افريقية اكبر من نصيب غيرها وادسم

وفي اسيا وجزائرها سبعة عشر مليوناً من الاميال المربعة وقد كان النصيب الاوفر منها لروسيا كأنها ارادت ان تجبر ما نقصها في افريقية فنشرت لواءها على سبعة ملايين من الاميال المربعة. واكتفت انكلترا بمليونين ولكنهما من اغنى الاراضي واكثرها سكاناً. واخذت هولندا ٧٤٠ الف ميل وهي ايضاً بلاد غنية كثيرة السكان. وغنمت فرنسا واميركا بلاداً صغيرة.

وعيون الدول الاربع الكبرى اي روسيا وانكلترا وفرنسا والمانيا طامحة الآن الى الصين وكوريا وافغانستان وبلاد فارس وقد وضعت روسيا يدها على منشوريا . ولا يبقى دولة اسيوية مستعزَّة بنفسها وجارية مجرى الدول الاوربيَّة الَّا اليابان على ضيق رقعتها . ويقال جملة ان عشرة ملايين ميل من اسيا صارت في يد الاوربيين الآن ولا يزالون يطلبون المزيد فروسيا والمانيا وفرنسا تترصَّد الممالك العثمانية وروسيا وانكلترا تراقبان ايران وافغانستان وتتناظران عليهما وفرنسا وانكلترا تتباريان على سيام ويبعد عن الظن ان تبقى تبت للصين زمناً طويلاً فلا يبقى من اسيا خارجاً عن قبضة اوربا الاَّ اربعة ملايين ميل مربع

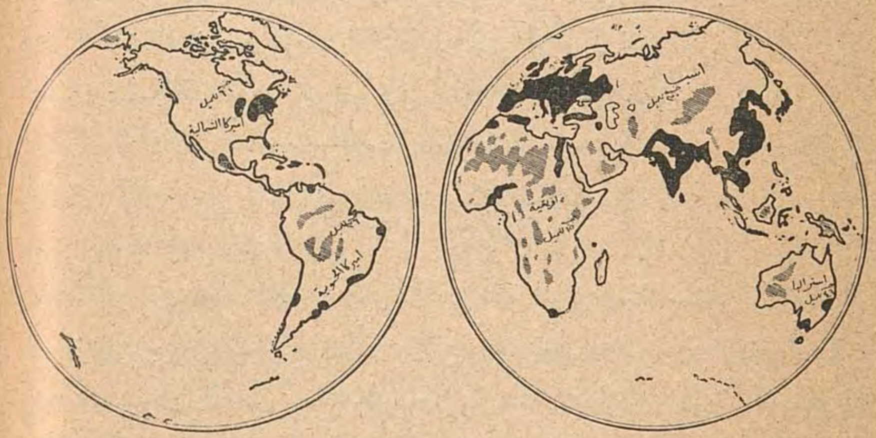

الشكل الاول

البقع السوداء هي الاراضي الكثيرة السكان التي يزيد سكان الميل المربع منها على ٦٤ نفساً والاراضي التي فيها خطوط مائلة متوازية لا تزال من المجاهل التي لم يعلم ما فيها وهي في افريقية واسيا واميركا الجنوبية واستراليا

اما الارقام فهي قيمة التجارة في كل قارة بالنسبة الى الميل منها ففي اوربا يخص الميل ٨٣٠ جنيهاً وفي اميركا الشمالية ٦٨ جنيهاً وفي استراليا ٤٦ جنيهاً وفي اميركا الجنوبية ٣٦ جنيهاً وفي اسيا ٣٠ جنيهاً وفي افريقية ١٥ جنيهاً

ومعلوم ان اميركا الشمالية والجنوبية صارتا للاوربيين ونسلهم فهم يملكون الآن اوربا كلها ما عدا قطعة صغيرة في شرقيها للدولة العثمانية. واميركا كلها من غير استثناء وافريقية كلها ما عدا مراكش وطرابلس الغرب وبلاد الحبشة ونحو ثلثي اسيا ولهم ايضاً استراليا واكثر جزائر البحر. ومساحة الارض الصالحة للسكن ٤٧ مليون ميل مربع واحد واربعون مليوناً منها خاضعة للاوربيين ونسلهم في اميركا وستة ملايين لغير الاوربيين ولكن كلمة الاوربيين نافذة فيها. واذا قسم الاوربيون الى سلاف وجرمان ولاتين وجدنا الجرمان يملكون ١٧ مليون ميل واللاتين

خمسة عشر مليون ميل والسلاف تسعة ملايين ميل

هذا من حيث مساحة الارض اما من حيث عدد السكان فاذا حسبنا سكان الارض ١٦٠٠ مليون نفس فسبع مئة وخمسون مليون نفس منهم خاضعون للجنس الجرماني (اي الانكليز والالمان والهولنديين الخ) و٢٥٠ مليوناً للجنس اللاتيني و ١٧٠ مليوناً خاضعون للسلاف و ٤٠٠ مليون خاضعون للصينيين و ١٠٠ مليون للاتراك

ومن الغريب ان جانباً كبيراً من الارض لا يزال مجاهل كما ترى في الشكل الاول فان الاراضي المغطاة بالخطوط المتوازية لم يعرف ما فيها حتى الآن وبعضها اجتازهُ اهل السياحة

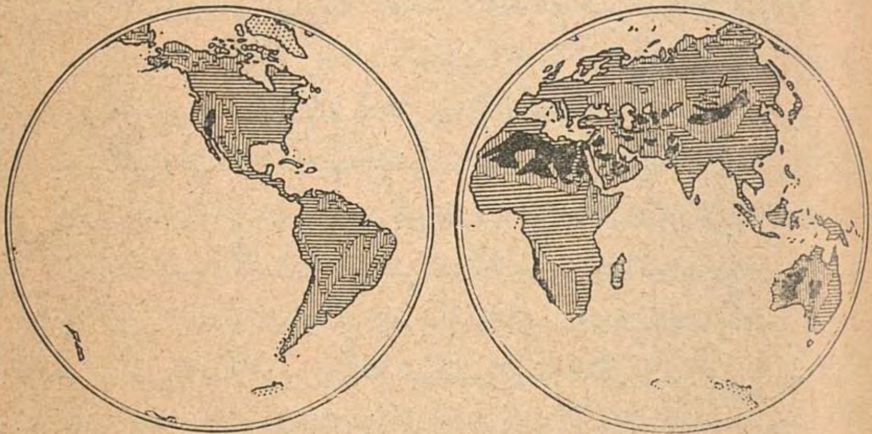

الشكل الثاني

كل ما فيهِ خطوط افقية من الشرق الى الغرب فهو اراضٍ صالحة للزراعة

وكل ما فيهِ خطوط عمودية من اعلى الى اسفل فهو ارضٍ لا تزرع لكنها تنبت نباتاً

وكل ما هو اسود فاحم فهو صحارٍ جرداء

وكل ما فيهِ نقط (وهو غرينلندا شمالاً والاراضي حول القطب الجنوبي) فهو مغطى بالجليد

وروَّاد الحضارة من طرف الى طرف ولكنهم لم يجولوا فيهِ حتى يتيسر لهم وصفهُ غير انهم باذلون الهمة في كشف مجهولاتهِ ومسح فيافيهِ ووصف ما فيها من حيوان ونبات وجماد

وتختلف الاراضي كثيراً في خصبها الطبيعي واستعدادها للعمران كما ترى في الشكل الثاني فالبلدان التي رُسمت فيها خطوط افقية متوازية من الشرق الى الغرب اراضيها صالحة للزراعة ومن ذلك القطر المصري وبلاد الراس والترنسفال وجانب كبير من اواسط افريقية وبلاد اوربا كلها وسيبيريا الاَّ اطرافها الشمالية وبلاد الهند والصين وشرقي استراليا والجانب الاكبر من اميركا الشمالية والجنوبية

والبلدان المغطاة بخطوط عمودية سهول لا تزرع و المغطاة بالسواد صحارٍ جرداء لا تنبت شيئاً . وهذان الشكلان يحتملان شرحاً آخر سنعود اليهِ في جزء تالٍ

خليل غانم

هو رجل من رجال سورية المعدودين ومن زعماء النهضة الحديثة الذين زرعوا ولم يجنوا ولكن لا بدَّ من ان يأتي زرعهم بالثمار في ابَّانها . ولد في بيروت سنة ١٨٤٦ ودرس في مدارس العازاريين في لبنان وذهب الى فرنسا سنة ١٨٦٨ وعاد منها فعيّن مساعد سكرتير لرشيد باشا والي سورية حينئذٍ . ثم جُعل ترجماناً للولاية وبدت حميتهُ الوطنيَّة في المقالات التي كان يكاتب بها الجرائد وفي المخابرات مع قناصل الدول الاجنبيَّة فانهُ كان يدافع فيها عن حقوق بلادهِ وحكومتها والَّف كتاباً في هذا الموضوع طُبع في احدى جرائد الاستانة

وكان مغرماً بآداب اللغة الفرنسويَّة ونظم فيها قصيدة طويلة عن حرب الاستقلال الايطالية ورفع قصيدةً أُخرى الى البرنسس كليوتلدا حين زيارتها لبيروت مع البرنس نبوليون

ولما كان اسعد باشا والياً لسورية قبل ارتقائهِ الى منصب الصدارة اعجب بهِ فاقنعهُ بالذهاب معهُ الى الاستانة وجُعِل هناك رئيساً لسكرتيرية الصدر الاعظم وبقي في هذا المنصب سنتين من سنة ١٨٧٥ الى سنة ١٨٧٧

ثم عين مندوباً عن ولاية سورية في مجلس المبعوثان سنة ١٨٧٧ واقترح مدحت باشا عليهِ وعلى اغوب باشا ان يساعداهُ في انشاء دستور يوافق الممالك العثمانية فانشىء هذا الدستور وبقي المترجم يناضل عنهُ الى آخر نسمة من حياتهِ . وحمل هو واحمد افندي الخطيب التركي على الحكومة العثمانية لنفيها مدحت باشا وقال قولهُ المشهور وهو "ان السلطان لا يستطيع ان يسترجع الدستور بعد ان منحهُ لشعبهِ" فأُمر بالرحيل عن الاستانة فسار الى باريس واقام فيها واشتغل بالتجارة ومكاتبة الجرائد الفرنسوية والانكليزية والعربيَّة والَّف كتابا عربيًّا في الاقتصاد السياسي . وكتاباً فرنسويًّا في السلاطين العثمانيين وهو في مجلدين كبيرين

وقد كان غرضهُ الذي يسعى اليهِ وضع دستور عام لجميع الرعايا العثمانيين ومنع الاجانب من المداخلة في شؤون المملكة العثمانية وكان صادق الوطنية اديباً انيساً لطيف المعشر توفي في ٢٣ يونيو الماضي اثر داء عياء ولهُ من العمر سبع وخمسون سنة واحتفل بدفنهِ في مونبارناس وادَّت فصيلة من الجنود الواجب في مثل تلك الحال لانهُ حامل نشان اللجيون دونور

ناموس النشوء في تقدم العمران

اشرنا في اواخر كلامنا في الجزء الثالث من مقتطف هذا العام الى وجود فروق يختلف بها الحيّ عن المجتمع في شأن الارتقاء والآن نحن آخذون في ذكرها ملخصةً فنقول :

في الارتقاء الحيويّ تتدرَّج حياة الفرد اختفاء وضياعاً في المجموع حتى تستغرق فيهِ. واما في الارتقاء الاجتماعي فالامر بالعكس أي ان حياة المجموع وقفٌ على حياة الفرد ابدًا . فلا تزال الاولى تهبط في سلّم السيادة والاستقلال والثانية تصعد في مراقي الشأن والعلاء حتى تختفي حياة المجموع في حياة الفرد كأنما الاولى تموت عن الثانية فداء

وبيانهُ موجزًا ان في هيئة الاجتماع العائلي الاولى كان وجود الفرد مختفيًا أو مستغرقًا في وجود المجموع حتى لم يكن الاول يعرف باستقلالهِ الشخصي. وكانت حياتهُ وحقوقهُ وواجباتهُ وقفًا على خدمة العائلة . وكانت اعضاء العائلة مرتبطةً برباط الدين والسياسة خدمًا لسيدها وكبيرها. فكان يحق للاب ان يتخلى عن ابنهِ وهو طفل واذا كبر الطفل جاز لابيهِ ان يبيعهُ بيع الرقيق او يعاقبهُ حين العصيان بالموت . وكانت الزوجة كذلك مستعبدة لزوجها معدودة بمثابة الابنة. فلم يكن الزواج الا ناقلاً لها من عبودية الى أُخرى. ولم يكن يحق للفرد ان ينقل ملكهُ الى آخر مبايعةً حتى يحلف المتبايعان باحد اسلافهما ممن قد ماتوا قبل عدة قرون

وجملة القول لم يكن يجري شيء يشبه عقد البيع بين المتبايعين الفردين بل كان ذلك موكولاً الى مشيئة سيد يسمى باسم خاصّ. بل لم يكن للفرد في هاتيك الازمان تصوُّرٌ او خيالٌ لمعني العقد على الاطلاق. وكان جلّ ما يدركهُ ذهنهُ انهُ وُلِدَ لسيدهِ كالعبد يتصرف بهِ تصرُّف المالك بالمملوك

ولما ارتقت الهيئة الاجتماعية الى ما فوق ذلك من الاطوار السياسية بقي شيءٌ من ضياع الفرد في المجموع زمنًا فكانت حقوق الفرد تنكر عليهِ الاَّ اذا كان عضوًا في الهيئة الحاكمة ولم يكن نصيبهُ من تلك الحقوق الشخصية الاَّ بعض الشيء . ففي عهد الجمهورية الرومانية واليونانية كانت مصلحة الفرد وقفًا على مصلحة الحكومة ولم يكن يتسنى للفرد ان ينال حظًّا من حقوقهِ الاَّ بعد ان مضى على ذلك ازمان متطاولة وتقلبت على الامم احوال عديدة في جملتها ارتقاء الشريعة الرومانية ايام الامبراطورية الاخيرة فارتقت فيها اهمية حقوق التملك وشرائع العقود . ولما نشأ نظام الاقطاع (في القرون المتوسطة) كانت نسبة المزارع لمولاهُ مقرَّرة

محدودة بقوانين نظامية بما ورثت الامم لذلك العهد عن الشرع الروماني وبهذا الاعتبار كان لهذا النظام الميزة على ما سبقهُ من انظمة الشعوب

وفي اعتقاد المحققين من علماء الاجتماع ان هذه كانت النقطة التي ارتقت منها سيادة ارباب الاقطاع الى تألف الامة بما اتَّسع للفردمن نطاق الحرية الشخصية الى حدٍّ يفوق الحد الذي ارتقت فيهِ العشائر الاولى الى شعوب سياسيَّة. وقد كان للكنيسة الرومانية في تربية الحرية الشخصية من هذا الوجه يدٌ كما كان لها في تمهيد اسباب الاتحاد بالجامعة الوطنيَّة العامَّة. ذلك ان الرهبانية كانت تؤيد الروح الجمهوري حتى في اثناء حكومة الاشراف فجعلت بنفوذها تقدُّمَ الفرد موقوفاً على استعدادهِ الشخصي وامتياز الفرد منوطاً بقواهُ العقلية وصفاتهِ الادبيَّة

وتقدم الصناعة ايضاً كان في جملة العوامل المؤيدة لحقوق الحرية الشخصية. فان الصناعة بتفرُّعها وتشعبها جعلت الفوز للافراد الممتازين بقواهم الشخصية ايّاً كانت طبقتهم حتى امست حقوق الفردوهي الكلُّ في الكل بعد ان لم تكن شيئاً مذكوراً بين الناس وبعد ان كان الفرد يحيا لارباب الحل والعقد صار هؤلاء يعدون حياتهم وقفاً على حياة الفرد

وهذا كلهُ على عكس الواقع في النشوء العضوي. ذلك اولاً لان حياة الجزء في هذا النشوء تُستغرَق تدريجاً في حياة المجموع حتى تختفي فيهِ. واما في الارتقاء الاجتماعي فليست حياة المجموع الاَّ تابعةً خادمة لحياة الفرد كما تقدَّم وثانياً لان ارقى حيوان او نبات هو الذي في اجزائهِ من الحرية اقل ما يستطاع. بخلاف المجاميع العليا من هيئة الاجتماع فان حرية الافراد فيها على اسمى درجاتها واوسع حدودها

وعلى ذكر هذا التفريق بين الجسم الحي وهيئة الاجتماع يناسب ان نذكر هنا ان بعضهم زعموا ان الاجتماع ليس الاَّ نوعاً من انواع الاحياء بالذات فقالوا ان المدينة الجامعة تقابل قلب الحي وطرقها تقابل الاوعية الدموية فيهِ وان بضائعها الجوالة هي المواد المغذية السارية في البدن. وان النقود بمثابة الدم وان اسلاك الانباء اسلاك الاعصاب وان افراد سكانها تقابل اعضاء الحي المؤلف هو منها. فيقال في هذه المقابلات انها لاتخلو من سموّ الشأن في درس التاريخ وفن الاقتصاد فان سبنسر قد اورد كثيراً من هذه المقابلات الجامعة بين الفائدة والرشاقة الاَّ انها مع ذلك لاتخرج عن حدّ المقارنة التشبيهيَّة وليست في شيءٍ من وحدة الجنس. وكذلك ليتره مع ابداعهِ في تقريرهِ "ان نسبة الاقتصاد السياسي الى علم الاجتماع كنسبة وظائف التغذية الى علم الحياة" قد ابقى فسحةً وسيعةً بين الجسم الحي وهيئة الاجتماع. فان الفارق الذي لا يُفارق هنا هو ان الحياة الاخلاقية في الاجتماع في كلٍّ من

الاجزاء . واما في الجسم الحيّ فليست كلاً الاَّ في المجموع

قال سبنسر في تحصيل هذه الاحكام الكلية الواردة في هذه المقالة

"من ذلك كلهِ يُرى ان التقدم حكم ضروريٌّ لا اصطناعيٌّ ولا اتفاقيٌّ . وان التمدُّن بعض الطبيعة لا امرٌ خارج عنها على حد نشوء الجنين من الأُم وانتشار الزهرة من الكمّ . وكل ما طرأ او يطرأ على النوع الانساني من التغيرات انما هو فعل ناموس عام يجري على الخلائق العضوية باسرها . فما دام الجنس البشري في الوجود وما دامت هذه النواميس على نظامها واحكامها فلا بدَّ ان تنتهي هذه التغيرات ببلوغها ما يقرب من حدّ التمام. وقد عقَّب على ذلك بعضهم بقولهِ "كما يتنبأ الفلكي عن الاحداث السموية يتنبأ الاجتماعي ان ناموس الملاءمة سيبقى جاريًا على حكمهِ التدريجي في المستقبل السعيد الى ان تتمَّ الموازنة او تكاد بين الامة ومحيطها فتحقق حينئذٍ اماني كل انسان بمفردهِ اذ يتم التوازن بين مطالبهِ ووسائل تحصيلها كما يتم الوفاق بين رغائبهِ ورغائب ذويهِ ومجاوريهِ . هذه هي الحجَّة العليا التي يحلم بها العقلاء والغرض الاقصى الذي يسعى وراءهُ الفضلاء . حقوق مقدسة ينالها كل فرد من الامة حسب قواهُ وواجباتٌ معينة يقوم بها للمجموع وهذا منتهى ما يتمنَّى المرء في دنياهُ"

هذا وربما عدَّ بعض القرَّاء ان كلَّ ما جاء في هذه المقالة هو من قبيل الحقائق المقرَّرة عند جمهور اهل العلم لا ردَّ عليها ولا تعقيب والواقع هو ان الباحث النزيه يرى لبعض ارباب النظر الدقيق مآخذ على بعض احكامها تستوقف المنصف عن القطع بها والاقرار عليها . وفي جملة ما رأيناهُ من ذلك على وجه الاجمال امران

الاول هو ان منشأ تلك الغيريَّة الباعثة على ارتقاء المجموع في رأي البعض ليس اجتماعيًا محضًا كما ادَّعاهُ هذا الفريق من الطبيعيين نشأ بمجرَّد التغيرات الضرورية الاجتماعية بل ان الغيرية فطرية في كل انواع الحيوان سابقة لارتقاء الاجتماع وعلة اصيلة للمبدإ الاجتماعي لا نتيجة لازمة عنهُ في طورٍ منهُ كما يدَّعي اولئك . وان الغيرية التي يظهر انها ترتقي بارتقاء الاجتماع الطبيعي ليست هي الغيرية الحقيقيَّة الاساسية المقومة لاركان الآداب وهذا يسوق الى الامر الثاني وهو

الثاني ان ارتقاء هذه الغيرية بارتقاء الاجتماع على ما يقول سبنسر وتبَّاعهُ ليس على الحقيقة آيلاً الى صلاح العمران فانهُ يظهر من خلال هذا التمدن الجديد انانية مرتقية او شرٌّ مرتقٍ سيقوض اركانهُ ويقرض بنيانهُ كالسوس الناخر في الغصن الناضر حتى تكاد تلك الانانية الاولى الهمجية لا تعدُّ شيئًا بجانب هذه الانانية المدنية ويقولون ان ما نرى من روائع

هذه الحضارة وسواحرها وبدائعها ومفاخرها ليس الاَّ مرعًى نبت في الدِّمَن فلا يروق عاقلاً حتى تروق الدفين جودة الكفن . وان في مقاتل هذا العمران المترقي دفائن وبيلة وكوامن دخيلة ستهوي بهِ الى مهاوي الهلكة والدمار يريدون بذلك انانية ارباب السيادة والصولة والحول والاقتدار ورجال الغنى وملوك الاحتكار ويوقنون ان ناموس بقاء الانسب الطبيعي ليس هو المعتدي الباغي ولا هو العامل وحدهُ على فناء الضعيف . وانما هو حجَّة المستأثر القاهر ومعذرة الطامع الظالم والقوي الجائر . ويعتقدون انهُ اذا قيض لابن المدنية صلاح او اصلاح فما هو نابت من هذه الارض ولا هو متأَتٍّ عن جانب البشرية المتقلبة بين طامح ظلاَّمٍ وبائس يولد في الشقاء ويعيش على الجيف ويموت كالانعام

ولقد وُلدنا كسائر المولودين من انسان وحيوان نرضع من الأُم لبانها ونغذى حبها وحنانها وننشأُ على بذلها واحسانها ونحن نرى من حولها كل حيٍّ في الوجود يولد بهلاك غيرهِ ويحيا في مهاد الكرَم والجود. نشاهد الطبيعة بعين الفطرة الساذجة تحنو على بنيها وتجود بطيّب عناصرها حتى تحيا الارواح وتتملَّى الابدان بما لا تعدلهُ الكنوز ولا يقوَّم بالاثمان . وكان جل ما سمعناهُ من افواه المربين من جانب السرير وعلى مائدة الطعام انهُ لولا الفدى ما عاش ولد وانهُ لا يحيا جسد حتى يفنى اسد . ثم دخلنا غرفة الدرس فحسبنا اشرف ما غُرِس في اعماق الفؤاد أن اسعاد المرء ذويهِ احق دين يوفيهِ. وان اكرم نبيل من مات في سبيل اخيهِ فلا يتصوَّر الذهن تعريفاً للخير الاَّ انهُ الايثار على الذات لنفع الغير. حتى اذا بلغنا طور المطالعة وتهيأَ لنا النظر في شيءٍ من الفلسفة ومذاهبها رأَينا نفرًا عاشوا بالاحسان ولولا الاحسان ما عاشوا ينادون ان الغيرية وما تطويهِ من مكارم الانسانية ان هي الاَّ اضغاث احلام وبنيَّات اوهام بل غوايات المنابر ونفايات الايام وان الفلسفة تنفيها والعلم سيفنيها فقلنا ما عسى ان يكون حال الدنيا على هذا ياربَّاهُ اهذا يكون مآل الولد ومن ربَّاهُ أَحلمٌ هو الذي يتجلَّى من شريعة الطبيعة وسنَّة الوجود حتى ينقلب النفع ضرًّا والخير شرًّا . ام هو الانسان الكفور شرُّ ما ربَّت الطبيعة وافسد من دبَّ على الارض يجحد النعمة وهي حياتهُ ويكفر بالرحمة وبدونها مماتهُ . ثم لجَّ بنا داعي البحث والتنقيب فوقفنا على اقوال متفرقة لاهل العلم الطبيعي والفلسفي تنفي ماعزاهُ الانانيون للعلم وهو منهُ براءٌ كالقول بطروء الآداب ونفي الالزام الادبيِّ وان اللَّذة غاية الفضيلة وسيلة الى ما يلحق بذلك من هادمات دعائم العمران على ما ننوي تلخيصهُ ونشرهُ ان شاء الله

دمشق

متري قندلفت

منزلة الشعر من التاريخ

﴿ ١٩ ﴾ الصداق

اما الصداق عندهم فكان الرجل يسوقهُ الى المرأة وهو في الغالب من النياق . وقد ذكر عنترة العبسي ما كان من امرهِ في طلب الصداق قال

ترى علمت عبيلة ما أُلاقي   من الاهوال في ارض العراقِ
طغاني بالريا والمكر عمي   وجار عليَّ في طلب الصداقِ
فخضت بمهجتي بحر المنايا   وسرتُ الى العراق بلا رفاقِ
وسقتُ النوق والرعيان وحدي   وعدت اجدُّ من نار اشتياقي

ولم يكن الصداق محدودًا فكان حسب تراضي الفريقين . ولذلك نجد جريرًا يعين مهر بنات قومهِ سبعين ناقة بدليل ما قالهُ في احدى قصائدهِ رادًّا على الفرزدق

سبعون والوصفاء مهر بناتنا   اذ مهر جعثنَ مثل حبّ البندقِ (١)

وكثيرًا ما تكون قلة المهر دليل ذلَّة الممهورة قال جرير

لقد جُرّدت يوم الحداب نساؤُكم   فساءَت مجاليها وقلَّت مهورُها

﴿ ٢٠ ﴾ استخدام الاماء والعبيد

لاخلاف في ان العرب كان عندهم الاماء والعبيد والخدام قال عروة بن الورد " واني عبدٌ عندهم وابي عبدُ " وقال سبرة بن عمر الفقعسي

ونسوتكم في الروع بادٍ وجوهها   تظنُّ اماءً والاماء حرائرُ

وقال زيد بن عمرو بن نفيل

فلعلي ان يكثر المال عندي   ويعرَّى من المغارم ظهري (٢)
وتُرَى اعبدٌ لنا واواقٍ   ومناصيف من خوادم عشرِ (٣)

وقال عمر بن كلثوم التغلبي

بأي مشيئة عمرو ابن هند   تطيع بنا الوشاة وتزدرينا

---

(١) الوصفاء جمع وصيف وهو الغلام المملوك . وجعثن اسم اخت الفرزدق
(٢) المغرم ما ينوب الانسان في مالهِ من ضرر لغير جناية كتحمل الديات والاطعام في النائبات
(٣) المناصيف جمع منصفة وهي الخادمة

تهدّدنا وتوعدنا رويدًا متى كنّا لأُمك مقتوينا (٤)

وقال عدي بن زيد

متّكئًا تُصفَقُ ابوابُهُ يسعى عليهِ العبد بالكوُبِ (٥)

﴿٢١﴾ الصبوح والغبوق

وكانوا يشربون اللبن و يعاقرون المدام اما صباحاً ويدعونهُ صبوحاً قال عمرو بن كلثوم

ألا هبي بصحنك فاَصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا (٦)

واما مساءً ويدعونهُ غبوقاً قال عنترة العبسي

كذب العتيق وماء شن باردًا ان كنت سائلة غبوقًا فاذهبي (٧)

وقال المخبل السعدي

واهلكني شيبان في كل شتوة لقلبيَ من خوف الفراق وجيبُ (٨)

اشيبان ما ادراك ان رب ليلة غبقتك فيها والغبوق حبيبُ

وكان الغلمان يطوفون بكؤُوس المدام قال حسان بن ثابت

يسعى بها احمر ذو برنس محتلق الذفرى شديد الحزام

وكذلك كانت القيان يتعاطين سقي الشراب قال عدي بن زيد

ودعوا بالصبوح يومًا فجاءت قينة في يمينها إبريقُ

﴿٢٢﴾ الغناء

وكان للغناء عندهم شأن وكانت القيان ذات براعة بهِ قال طرفة عمرو بن العبد

نداماي بيض كالنجوم وقينة تروح علينا بين بردٍ ومجسدِ (٩)

اذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا على رسلها مطروقة لم تشدَّدِ (١٠)

و كنَّ يستعملن آلات فمن ذلك "المزهر" قال احيحة بن الجلاح الأَوسي

---

(٤) المقتوي الخادم والزوزني في شرح المعلقات يقول القتو خدمة الملك

(٥) صفق الباب أُغلق ورد او فتح . الكوب كوز مستدير الراس لا عروة لهُ ولا خرطوم

(٦) الصحن القدح العظيم (٧) كذب وجب . ومعنى البيت عليك باكل العتيق وهو التمر اليابس وشرب الماء البارد ولا تتعرضي لغبوق اللبن وهو شربهُ عشيًا

(٨) شيبان بفتح الشين وكسرها . قال الجوهري شيبان وملحان شهرا قماح وهما اشد الشتاء بردًا سميا بذلك بما عليها من الثلج والصقيع وهما الكانونان . والوجيب الخفقان

(٩) ندامى جمع ندمان وهو النديم . والقينة الامة المغنية . والمجسد الثوب المصبوغ بالجسد وهو الزعفران

(١٠) على رسلها اي على وقارها . والمطروقة التي بها ضعف

لتبكني قينة ومزهرها ولتبكني قهوة وشاربها

" والصنج " قال الاعشى ميمون

ومستجيباً تخالُ الصنج يسمعهُ اذا ترجعُ فيهِ القينة الفُضُلُ (١)

" والقصاب " قال رؤبة " في جوفهِ وحي كوحي القصاب (٢) " وقال الاعشى

وشاهدنا الجل والياسمين والمسمعات بقُصّابها (٣)

" والعود " قال ابن مقبل

فضلى تنازعها المحابضُ رَجفها حذاء لا قطع ولا مصحال (٤)

وقال النمر بن تولب

قامت تباكي اذ سبأت لفتية زقاً وخابية بعود مقطعِ (٥)

وكان العزيز المبجل اذا قدم من سفر خرجت الاماء لاستقبالهِ ينشدن الاهازيج المطربة. ولما دخل النبي مكة يوم الفتح استقبلتهُ اماء مكة يصفقن ويقلن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع (٦) وجب الشكر علينا مادعا لله داع

وكان الرجال ايضاً يشتركون بكل ذلك وكانوا يسمون الضرب بالدف والغناء قلساً وتقليساً وقيل ان التقليس هو استقبال الولاة عند قدومهم باصناف اللهو قال الكميت يصف ثوراً طعن في الكلاب فتبعهُ الذباب لما في قرنهِ من الدم

ثم استمرَّ تغنيهِ الذباب كما غنَّى المقلس بطريقاً بمزمارِ

وكانوا في الاسفار يتخذون الحداء باعث تنشيط ابلهم وتجديد قواهم ويتداولونهُ الواحد بعد الآخر ولطالما اتخذوا الحداء وسيلة للتعريض باشياء قال الحطيئة

فلم اشتم لكم حسباً ولكن حدوت بحيث يستمعُ الحداء

وكثيراً ماجرَّ ذلك التعريض سفك الدماء كما كان من حداء زيادة بن زيد بن مالك وهدية بن خشرم وحديثهُ طويل اثبتهُ الاصبهاني في الاغاني

﴿٣٣﴾ مزج المدام

اختلفوا في المدام هل الاولى شربها صرفاً او ممزوجة قال حسان بن ثابت في الصرف

---

(١) امرأة فضل اذا كانت متفضلة في ثوب واحد (٢) القصاب المزمار

(٣) الجل الورد فارسي معرب . والقصاب جمع قاصب وهو الزامر (٤) اي منقطع عن الضراب

(٥) المحابض اوتار العود. ورجعها جوابها والمراد بالجواب هنا صوتها. حذاء قصيرة . والقطع المقطوعة والمصحال ذات البحة (٦) الوداع وادٍ بمكة وثنيات الوداع منسوبة اليه

ان التي ناولتني فرددتها قتِلت قُتِلتَ فهاتها لم تُقتَلِ
كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة ارخاهما للمفصلِ

وعابت اخت جذيمة الابرش ما كان من تعاطي اخيها الصرف اذ قالت لهُ

ذاك من شربك المدامة صرفاً وتماديك في الصبي والمجونِ

وقد امتدح حسان الممزوجة بقولهِ

كأن سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء

قال الشيخ عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الادب "انما اشترط ان يمزجها لانها خمر شامية صليبة فان لم تمزج قتلت شاربها . وخصَّ العسل والماء لان العسل احلى ما يخالطها وانهُ يذهب بحرارتها واما الماء فيبرّدها ويلينها"

وقيل ان الخمرة الممزوجة كانت شراب الملوك ولذلك عابت اخت جذيمة اخاها لعدولهِ عن عادة امثالهِ بشربهِ لها صرفاً . والى هذا يذهب من يقول ان رأساً في قول حسان "كأَن سبيئة في بيت رأس" بمعنى رئيس لا انهُ اراد بيت رأس اسم القرية التي في ناحية الاردن من الشام وكانت هذه القرية مشهورة بجودة الخمر وفيها ماتت حبابة جارية يزيد بن عبد الملك واليها اشار النابغة الذبياني في قولهِ

نمين قلالهُ من بيت راس الى لقمان في سوق مقامِ

وقد عللوا مزج الخمرة بكراهية اخراجها لهم عن عقولهم في معاطاتها صرفاً قالوا والى ذلك اشار عدي بن زيد بقولهِ

ربَّ ركب قد اناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلالِ

فانهُ يكني بركب يشربون الخمر بالماء الزلال عن الملوك الذين كانوا في عصرهِ . ولعدي ايضاً من قصيدة اخرى قولهُ

فدعا بالصبوح يوماً فجاءت قينة في يمينها ابريقُ
قدَّمتهُ على عُقارٍ كعين الـ ديك صفّى سلافها الراووقُ (٧)
ثم كان المزاج ماء غمام غير ما آجنٍ ولا مطروقُ

وقال عمرو بن كلثوم التغلبي يصف شربهُ

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا
مشعشعة كان الحُصَّ فيها اذا ما الماء مازجها سخينا (٨)

(٧) العقار الخمر . والراووق المصفاة (٨) مشعشعة اي ممزوجة بالماء . والحص الزعفران .

﴿ ٢٤ ﴾ نضح الخيل بالخمر

وكان الغزاة اذا اقبلوا منتصرين خرجت النساء للقائهنّ وبايديهنّ زجاجات الخمر فينضحن جيادهم بها قال حسان بن ثابت

تظلُّ جيادنا متمطرات تلطمهنّ بالخمر النساء

﴿ ٢٥ ﴾ الرايات

وكان لكل قبيلة راية يرفعونها ويدعونها ايضاً عَلَماً ولواء قال ابو زيد الطائي

ولنا فوق كل مجد لواء فاضل في التمام كلّ لواء

وقال عنترة بن شداد العبسي

ولقد عدوت امام راية غالب يوم الهياج وما عدوتُ باعزلِ

وكان اللواء لا يدفع الاّ الى صنديد مقذّف قال النابغة الذبياني

لهم لواء بكفّي ماجد بطل لا يقطع الخرق الاّ طرفهُ سامي

وكانت الويتهم ذات رسوم قال النابغة الذبياني

فوارس من منيلة غير ميل ومرة فوق جمعهم العقابُ

يريد بالعقاب راية عليها رسم العقاب · وكان بعضهم يغزون متساندين اي من اقوام متعددة وحينئذٍ يسمون اشائب ولم يكن ذلك بالممدوح قال النابغة الذبياني

وثقت لهم بالنصر اذ قيل قد غزت كتائب من غسان غير اشائبِ

ولكنهم كانوا لا يرون في ذلك عيباً اذا كان عددهم عظيماً كما قالت ليلى بنت لكيز التغلبي في تحريض قبائل عديدة مستصرخة اياهم لينقذوها من يد الاعجام

قل لعدنان فديتم شمروا لبني الاعجام تشمير الوحى

واعقدوا الرايات في اقطارها واشهروا البيض وسيروا في الضحى

يا بني تغلب سيروا وانصروا وذروا الغفلة عنكم والكرى

وكانوا فضلاً عن تميزهم بالرايات يتخذ كل قوم منهم (شعارًا) اعني نداء خاصًّا قال النابغة

مستشعرين قد الفوا في ديارهم دعاء سوع ودعميّ وايوبِ

امين ظاهر خير الله

تحبنا اي جدنا وكان من عادة العرب اذا انتشوا ان يجودوا قال عنترة

واذا سكرتُ فانني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلمِ

واذا صحوت فلا اقصر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي

التاز وبانيه

ليس من تلك المباني بل جوًى في قلب عاهل
تخِذَ الجوهر متناً والحواشي من جنادل
من حجار احكمت اشكا لها تلك الشمائل
يتجلَّى في سناهُ مثل بدر في المنازل
او نفوسٍ من ذكاء الـ عقل باتت في هياكل
او فتاة ذات دلٍّ تتهادى في غلائل
اسفرت فالقلب مني بين ولهان وواهل
وبعينيَّ خشوعٌ وارتجاف في المفاصل
وبانفاسي علي وجدٍ تولأني دلائل
ذلك التاز الذي فاقت بهِ الهندُ الاوائل

قال بعضهم "اذا بلغت مدينة اكرا في ليلة قمراء فحثَّ الركاب الى التاز. ولو كان وصولك اليها في الهزيع الاخير من الليل". وقال آخر "ان كل ما كُتب عن التاز منذ مئتين وخمسين سنة اي منذ بنائهِ الى الآن لا يفي بوصفهِ وستمضي مئتان وخمسون سنة اخرى قبل ان يقوم مَن يقوم بذلك". وقال القس اوروك في كتابهِ عن الهند "ما هو التاز" ثم اجاب بما ترجمتهُ "مدفن امرأة مدفن زوجة ملك عظيم مدفن زوجة هام بها زوجها مدفن لها ولهُ بناهُ اجابةً لطلبها لكي يدفَن فيهِ الى جانبها

"يمتاز التتار بتأنقهم في بناء مدافنهم فقد بنى كل ملك منهم مدفناً لنفسهِ. والتاز من بناء شاه جهان حفيد السلطان جلال الدين محمد الملقَّب باكبر اقامهُ لزوجتهِ ممتاز زماني ولنفسهِ

"على ميلين من المدينة باب كبير كأنهُ من بناء الجبارين يذهل الناظر اليهِ ويستحق ان تشد اليهِ الركاب من شاسع الاقطار فاذا مررت فيهِ رأيت امامك جنَّة يانعة في ظل ظليل وماء نمير. سرو باسق وماء دافق ومنفرج امامهُ دكتان الواحدة فوق الاخرى السفلى من الحجر الاحمر علوها عشرون قدماً واتساعها الف قدم في مثلها عرضاً والعليا من الرخام الابيض علوها خمس عشرة قدماً واتساعها ثلاثمئة قدم في مثلها عرضاً وعلى زواياها الاربع اربع مآذن من الرخام. والتاز بينها قناطر وسيعة وقباب رفيعة تنظرها عن بعد فتستصغرها ولكن لا تلبث ان تدنو منها حتى تراها تزيد فخامة ومهابة وجمالاً وجلالاً كأنها من تزاويق الخيال بل من بيوت

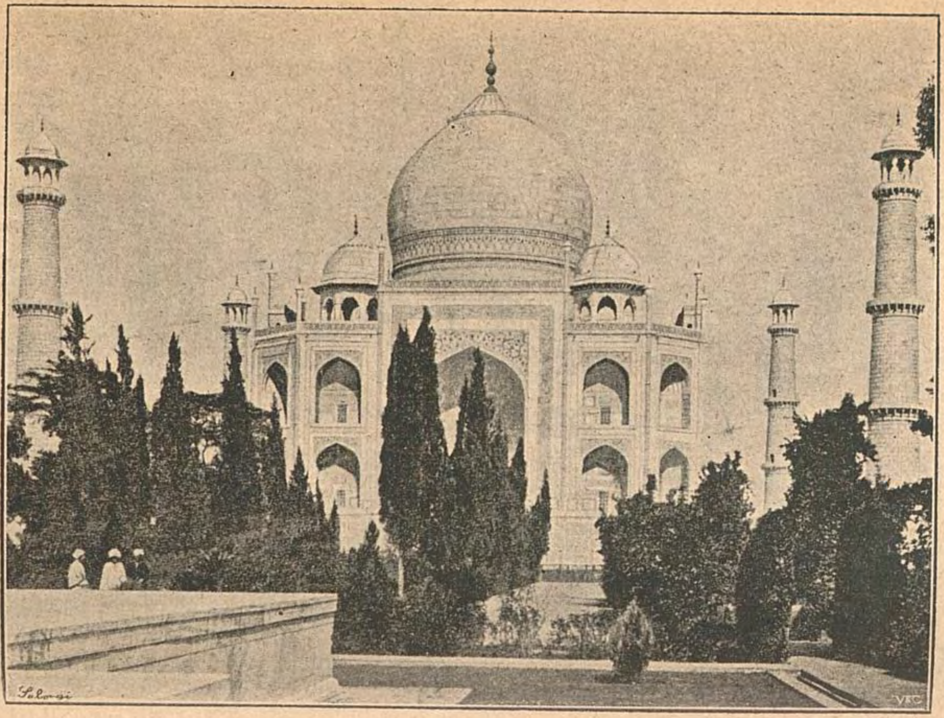

التاز مدفن ممتاز محال

المجد ذوات العمد الطوال. جدرانها مرصعة بالجواهر وقبابها مبطنة بالنضار الناضر ووراءها نهر الجمنا يسيل ماؤُهُ كذوب اللجين . ولا تظهر عظمة التاز في جزء من اجزائهِ اذا شوهد على حدة لما فيهِ من دقة الصناعة ونحافة النقش فتضيع معها فخامة البناء لأَن العقل والاختبار لم يعتادا رؤية هذه الدقَّة مع هذه الفخامة . فهو من بناء الجبارين وصوغ الصاغة الماهرين حلية فخيمة قاعدتها ١٨٦ قدماً مربعةً وارتفاعها مئتا قدم أُنفق عليها اكثر من مليونين من الجنيهات تسمع الاصداء تحت قبابهِ كاشجى الانغام لانهُ خاوٍ خالٍ ليس فيهِ غير قبر وما حواهُ من رغام"

وقال القس هتشنصن في كتابهِ الحديث عن ملوك العالم "التاز حلم في رخام كما قيل على ضفة نهر جمنا قرب مدينة اگرا انشأَهُ السلطان شاه جهان مدفناً لزوجتهِ ارجمند بنو بگم الملقَّبة بممتاز محال التي توفيت سنة ١٦٢٩ وهو صاحب العرش المعروف بذنب الطاووس الذي غنمهُ نادرشاه ملك الفرس ونقلهُ الى بلاد فارس وكان فيهِ الماسة الشهيرة المعروفة بقوه نور اي جبل النور وهي الآن من جواهر ملوك الانكليز

"والتاز مبني بحجارة حمراء ورخام ابيض ومرصع من الداخل بجواهر كريمة في جدرانهِ عضائد من المرمر الاسمر والبنفسجي كأَنها حواشٍ لما تحيط بهِ من النقوش وفي الغرف الاربع التي على زواياهُ صفائح كبيرة من الرخام الابيض عليها ازهار مصنوعة من الحجارة الكريمة المختلفة الالوان والاقدار وهي محكمة القطع والوضع حتى تظنها ازهارًا طبيعيةً وفي الزهرة الواحدة مئة حجر كريم او اكثر . وقبر الملكة وزوجها تحت القبة الوسطى ضمن درابزون من المرمر وفوق كل ركن من اركانهِ الاربعة قبة مثل القبة العليا شكلاً على قناطر دقيقة والقبران مغطيان بالازهار المصنوعة من الجواهر الثمينة"

وكتب المستر هقل من مدرسة الفنون في كلكتا مقالة مسهبة في مجلة القرن التاسع عشر بحث فيها عن باني التاز بحثاً مستفيضاً قال فيهِ " الشائع ان باني التاز بنَّاءٌ ايطالي ومزخرفهُ نقَّاش فرنسوي كانا في خدمة شاه جهان . الاَّ ان هذا مبنيٌّ على ظنون ليس لها سند تاريخي . والاوربيون ومن يحذو حذوهم من الهنود اهل النشأة الجديدة يخطئون في حكمهم على الفنون الهندية ولا يقدرونها قدرها لانهم لا ينظرون اليها بكل ملابساتها ولا يجرّدون انفسهم عما رسخ فيها من احتقار الفنون الشرقية . وكأَنهم نسوا ان صناعة التصوير والنقش في بلاد الهند متصلة بصناعة البناء لانها قائمة بزينتها فهي غير مفصولة عنها كما هي مفصولة في اوربا حيث انحطت صناعة التصوير حتى صارت واسطة لتزيين غرف الاكل والاستقبال

"والتاز منتهى ما وصلت اليهِ الفنون الهندية فاذا ثبت ان بانيهُ وناقشهُ من الاوربيين

ثبت ان الصناعة الهندية لا تبلغ حدها من الاتقان الَّا اذا ساعدها ذكاء الصناع الاوربيين. وعليهِ وجب ان نبحث في الادلة التاريخية التي تثبت ما تقدم من ان باني التاز ايطالي وناقشهُ فرنسوي . ومن المحقق ان الذي انشأ التاز هو شاه جهان انشأهُ مدفناً لزوجتهِ ممتاز محال التي توفيت نفساء سنة ١٦٢٩ فحزن عليها حزناً مفرطاً وعزم ان يبني لها مدفناً يكون اعجوبة الزمان فاستدعى امهر بنائي سلطنتهِ من شيراز وبغداد وسمرقند وامرهم ان يصنعوا لهُ رسوماً واختار واحداً منها وامر صانعهُ ان يصنع لهُ مثالاً من الخشب ثم بني التاز على هذا المثال

" اما هذا البنَّاء او المهندس فمؤرخو الهنود متفقون كلهم على ان اسمهُ الاستاذ عيسى ثم اختلفوا في وطنهِ فقال بعضهم انهُ شيرازي وقال غيرهم انهُ رومي. وشكل التاز يدلُّ على ان بانيهُ شيرازي ولكن يحتمل انهُ اقام في القسطنطينية عاصمة بلاد الروم واستخدمهُ سلاطين آل عثمان قبل بنائهِ للتاز . وخالفهم الاب منريك الكاهن الاسباني الذي رأى التاز بعد الشروع في بنائهِ بعشر سنوات وقال ان بانيهُ رجل من اهل البندقية اسمهُ جيرونيمو ڤرونيو "

واورد الكاتب ادلة كثيرة على نقض هذا الخبر ممَّا لا محل لاستيفائهِ هنا . وقال انهُ كان للتاز بابان من الفضة النقية أُنفق عليهما ١٢٧ الف ربيَّة نُزِعا وصُهِرا لما نهب الجات مدينة اگرا . والدرابزون الذي حول القبر كان اولاً من الذهب الابريز مرصعاً بالجواهر فمن المحتمل ان يكون شاه جهان استخدم اوستن الصائغ الفرنسوي في صياغة البابين والدرابزون ولكن مَن يمعن نظرهُ في المباني الكثيرة التي بنيت في ايام السلطان اكبر وما بعدهُ الى ايام شاه جهان وما فيها من بديع النقش والزخرفة يجد انها كلها شرقية نشأَت وارتقت في بلاد المشرق فان العرب كانوا اولاً يبنون مبانيهم من الاجر ويغطونها بقطع من المرمر المختلف الالوان منظومة من اشكال هندسيَّة لانهم كانوا من السنيَّة الذين لا يجيزون رسم الصور فلما وجدوا حجارة البناء من الرخام ابطلوا اسلوبهم الاول وجعلوا يزخرفون الرخام بالنقش والترصيع ثم لما وصلت هذه الصناعة الى الشيعة وهم لا يحرّمون تصوير الصور تركوا الاشكال الهندسية ورسموا بدلاً منها الصور الطبيعيَّة. وشاع ذلك قبل بناء التاج كما يرى في مدفن اعتماد الدولة جد السلطانة ممتاز محال فانهُ مغطًّى بالنقش المسمى بالمطيف وفيهِ المزاهر واشجار السرو واشكال مختلفة من الازهار. وتاريخ بنائهِ سنة ١٦٢٢ والتاز اكثر اتقاناً من مدفن اعتماد الدولة من هذا القبيل لان مدفن اعتماد الدولة تمثَّل فيهِ الصور الفارسيَّة تمثيلاً واما التاز فالصور التي فيهِ تمثل الاشكال الطبيعيَّة نفسها اجابةً لطلب شاه جهان الذي اراد ان يكون مدفن زوجتهِ اجمل ما صُنع في الدنيا

وقد وجد الكاتب صوراً كتب عليها السلطان جهانجير والد شاه جهان في السنة التاسعة عشرة من ملكهِ انها من عمل الاستاذ منصور امهر مصوري عصرهِ وفيها رسم رجال بلاطهِ وبعض الطيور الهنديَّة وهي في غاية الاتقان وقد صنعت سنة ١٦٢٤ اي قبل بناء التاز بست سنوات وأُطر ثلاث منها منقوشة نقشاً يماثل نقش التاز حتى ان من يراها ويرى التاز يثبت لهُ ان ناقشهُ فارسي لا اوربي او انهُ اتَّبع الاسلوب الفارسي لا الاسلوب الاوربي. ولعل رسوم التاز منقولة عن رسوم هذه الصور. اما الصنَّاع الذين كانوا يعملون تحت يد مهندسهِ فهنود كلهم على ما يظهر من اسمائهم وكانوا من اساتذة الفن لان اجرة الواحد منهم على ما في السجلات الهنديَّة من مئتي ربيَّة الى ثمانمئة ربية

وخلاصة ما تقدم ان باقي التاز الذي رسمهُ وشارف بناءهُ رجل فارسي يقال ان اسمهُ الاستاذ عيسى ولا يعرف من امرهِ غير ذلك

ثم انتقل الكاتب الى وصف التاز وقال انهُ حلية من الحلي وصورة عقلية تجسمت في الرخام والحجارة الكريمة واودر ابياتاً في وصفهِ للسر ادوِن ارنلد وهي التي ترجمناها ونظمناها في صدر هذه السطور. وختم مقالتهُ بما ترجمتهُ

ان ما ذكرهُ الشاعر هنا ليس تصوُّراً عقلياً استنبطتهُ المخيلة بل وصف حقيقة يدلُّ التاز عليها فان شاه جهان ومهندس التاز ارادا ان يمثلا بهِ جمال ممتاز زماني وكمالها والذين رأوهُ وانتقدوا بناءهُ بقولهم ان فيهِ نحافة نسائية اصابوا كبد الحقيقة في قولهم ومدحوهُ وهم يقصدون ذمهُ فان رسمهُ وبناءهُ ونقشهُ وزخرفتهُ كل ذلك مقصود بهِ ان يمثل تلك الغانية البديعة الجمال الذكية الفؤَاد بل هو شخصها بجمالها ودلالها وقدها واعتدالها وهي لا تزال واقفة تتهادى على ضفة الجمنا يهبُّ عليها نسيم الصباح ويجللها نور الاصيل او هو دليل احترام الهند لجمال نساء الهند

هذا وقد بحثنا في العام الماضي عن مقياس الشهرة عند كتَّاب العرب فنظرنا في كتب الترجمات وجمعنا اسماء الذين يدور ذكرهم على الالسنة وتُعمر بهم اندية الادب فاذا هم الامراء والشعراء والفقهاء وعدد قليل من الاطباء وعلماء اللغة وليس بينهم تاجر او مهندس او مدير عمل او مستنبط صناعة كأَن اسباب المعاش ودعائم العمران من سقط المتاع حتى لا يستحق اربابها ان يذكروا بين اعيان الامَّة. والظاهر ان هذا الشان طرأَ على بلاد الهند ايضاً بعد وصول العرب اليها فكانت نتيجتهُ ان العمران الذي ورثوهُ لم يدم الاَّ مقدار ما قاوى مخالب الدهر وعناصر الانحلال. ولا يتعذَّر اكتشاف السبب الاكبر لذلك لان الذين فخرهم الاكبر في شن الغارات وتميق العبارات لا ينبغ منهم غير رجال السيف ورجال القلم

آثار البهنسى العلمية

البهنسى مدينة صغيرة معروفة بين بني سويف والمنيا كانت من المدائن العظيمة في زمن الفتح كما تدلُّ آثارها الكثيرة وقد ذكر الواقدي خبر فتحها فملأهُ بالمبالغات حتى كأنهُ قصد تأليف رواية فكاهية لا ذكر حادثة تاريخيَّة فقال خرج صاحبها واسمهُ البطليوس لملاقاة خالد ابن الوليد في عشرين الف فارسٍ وخمسين الف راجل والف وثلثمئة فيل وكان في المدينة مؤونة تكفي اهلها وما فيها من الجيوش عشر سنوات وكان للمدينة سور يمشي عليهِ خيّالان متكاتفان . الى ان قال انهُ استشهد فيها يوم فتحت خمسة آلاف من اصحاب الرسول وانهُ قتل من الروم حينئذٍ ثلثمئة الف وصالح خالد من بقي من اهلها على الف الف مثقال من الذهب والف الف اوقية من الفضَّة وعشرة آلاف وسق من البر والشعير . ثم نكث اهل المدينة عهدهم فقتل خالد منهم ثلاثين الفاً واسر عشرين الفاً وصاروا يجرُّون القتلى في المركبات ويطرحونهم كراديس في الحفر. الى غير ذلك من المبالغات التي لا يصدقها عاقل. ومهما كان اصل هذه هذه الروايات فلا شبهة في ان البهنسى كانت من المدن العظيمة في زمن الفتح وانها كانت من اعظم مدائن النصرانية

ونقل علي باشا مبارك في خططهِ ان مسطح ارض البهنسى كان نحو الف فدان وقال ان المقريزي اطال الكلام عليها في خططهِ فذكر انهُ كان يعمل فيها الستور البهنسيَّة ونسيج المطرَّز والمقاطع السلطانيَّة والمضارب الكبار والثياب المحبَّرة وكان ما يعمل بها شيءٌ من الستور يبلغ طول الستر الواحد ثلاثين ذراعاً وقيمة الزوج منهُ مئتا مثقال ذهب واذا صُنع بها شيءٌ من الستور والاكسية من الصوف او القطن فلا بدَّ من ان يكون فيها اسم المتخذ لهُ مكتوباً. وكانت وقت فتح بلاد مصر حصينة الاسوار منيعة الابراج وكان لها اربعة ابواب في الجهات الاربع لكل باب ثلاثة ابراج وكان بها اربعون رباطاً وكنائس وقصور فلما أُخذت بالفتح تغيَّرت معالمها واندرس كثير من آثارها . واكثر اعمدة الجوامع القديمة أُخذت من كنائسها وهي معابد المصريين الاول . الى ان قال " فلو ازيلت الرمال عن انقاضها لظهر من آثارها اشياء كثيرة تنبئ عن تواريخ مدة الرومانيين واليونانيين وغيرهم "

هذا ما ذكرهُ علي باشامبارك في خططهِ وقد تحقق قولهُ الآن على اكثر مما ظنَّ فكشف اهل النقب بين انقاض البهنسى كتابات كثيرة من عهد اليونان والرومان واهم ما كشفوهُ

الكتاب المعروف باللوجيا او اقوال المسيح استخرجوهُ من ارضها سنة ١٨٩٧ فكان لهُ اعظم شان في الدوائر العلميَّة والدينية

وقد كتب المستر غرنفل والمستر هنت الباحثان الشهيران يصفان ما كُشف حديثًا من الكتابات اليونانية واللاتينية في آثارها فقالا

رجعنا الى البهنسى في شهر فبراير الماضي حيث كان من نصيبنا ان نجد مجموعًا كبيرًا من صفائح البردي اليونانية سنة ١٨٩٧ . وقصرنا النقب هذه النوبة على تلَّين فنزعنا الردم منهما حتى وصلنا الى الارض المبللة بماء النيل حيث لا يرجى وجود صفائح سليمة لوكانت هناك واكملنا نزع الردم منهما في ستة اسابيع فوجدنا مقدارًا كبيرًا من صفائح البردي من القرون الاربعة الاولى حتى كأَن التلين نفايات مكتبة كبيرة حافلة بالكتب الادبية والدينية. وقد وصلت هذه الصفائح الآن الى مدرسة اكسفرد وقرئ بعضها وفي جملتها مجموعة اقوال المسيح وهي من القرن الثالث ولغتها تشبه لغة اللوجيا التي كشفت في البهنسي سنة ١٨٩٧ وبعض هذه الاقوال وارد في اماكن اخرى كقولهِ " ان ملكوت الله داخلكم " وقولهِ " كثيرون اولون يكونون آخرين وآخرون اولين " . وبعضها جديد لم يرَ من قبل ولها مقدَّمة يقال فيها " الاقوال التي قالها المسيح الرب الحي لاثنين من تلاميذهِ " . وبعض هذه الاقوال مختوم بقولهِ " من يتعجب يملك ومن يملك يسترح " . وقد استشهد اكليمدضس الاسكندري بهذه العبارة وقال انها واردة في انجيل العبرانيين . فمن المحتمل ان هذه الاقوال كلها مقتبسة من هذا الانجيل او من انجيل المصريين اما نحن فنرجح ان هذه الاقوال والاقوال الاولى التي في اللوجيا كان كلٌّ منها مجموعًا في كتاب على حدة ومحسوبة كانها اقوال المسيح

ووجد بُردي مكتوب باللاتينية من القرن الثالث فيهِ ملخص بعض كتب ليفيوس اعظم مؤرخي رومية. وكتب ليفيوس التي بعد الكتاب الخامس والاربعين مفقودة الآن لا يوجد الأ ملخصها اما الملخص الذي وجد في البهنسي ففيهِ زبدة الكتاب السابع والثلاثين الى التاسع والثلاثين وزبدة الكتاب التاسع والاربعين الى الخامس والخمسين . والذي لخص هذه لم يختر الحوادث التي اختارها صاحب الملخص المعروف . والملخص الذي وجد الآن كتب عليهِ احد المسيحيين جانبًا كبيرًا من الرسالة الى العبرانيين فهي اقدم ما وجد من العهد الجديد مكتوبًا على ورق البردي . ووجد بين هذه الصفائح ايضًا جانب من سفر التكوين فهو اقدم ما وجد من نسخ التوراة حتى الآن

ومما قرئَ من الكتابات غير الدينيَّة

(١) اناشيد كتبت في القرن الاول قبل المسيح من نظم شاعرة لعلها كورنا معلمة بندار وعلى الجانب الآخر من ذلك البردي مقاطيع كثيرة من نظم الشعراء ليونيدس وانتيباتر وامنتباس وكلها جديدة لم تعرف لهم قبلاً

(٢) محاورة فلسفيَّة بين الطاغية فيسستراتس وبريفور وصولون وغيرهم من المشاهير

(٣) بردي من القرن الثاني فيهِ ابتهالات لالهة ذكرت اوصافها وقيل انها كانت معبودة في مصر وفي كل المسكونة وعلى الجانب الآخر من هذا البردي وصف علاج شافٍ استنبطهُ امهوتر وهو بمثابة اله الطب عند اليونان

ومن رأي الكاتبين ان تلال البهنسى لا تنقب كلها في اقل من ثلاث سنوات ولا بدَّ من ان يكشف فيها كثير من الكنوز العلميَّة فعسى ان تهتم الحكومة بحفظها من ايدي المتلفين الى ان تصل اليها ايدي العلماء المدققين

شرح الاحكام الشرعية

في الاحوال الشخصية

الشريعة الاسلامية واسعة النطاق كثيرة الفروع دقيقة الاختلافات صعبة المنال لوجود اصولها متفرقة في كتب القوم ولتشعُّب المذاهب فيها. وقد قضي الطلاَّب قروناً عديدة يستقونها من المصنفات الكبيرة كابن عابدين والبحر والنهر والزيلعي وغيرها مما يستغرق تصفحهُ السنين الطوال ناهيك عن درسهِ بامعان ودقة حتى خطر للمرحوم قدري باشا ان يجري فيها مجرى الغربيين في كتبهم القانونية فجمع الاحكام الشرعية المختصة بالاحوال الصحية والمعاملات ورتبها في مواد لسهولة حفظها ومراجعتها . والكتاب الذي امامنا هو الجزء الاول من شرح لكتاب المرحوم قدري باشا المسمَّى بالاحكام الشرعية في الاحوال الشخصية وضعهُ حضرة العالم المحقق الشيخ محمد زيد الابياني مدرس الشريعة الاسلامية في مدرسة الحقوق الخديوية توخى فيهِ تقريب هذه الاحكام من الطلبة مقتصرًا على ما تهم معرفتهُ للطالب والمحامي فجاء وافياً بالغرض لاغنى عنهُ للمشتغلين بهذا الفن الجليل

وقد سلك الشارح افضل الطرق في تمحيص اقوال الائمة مختارًا الاظهر منها او ما كان اكثر موافقة للعصر الحاضر ولاسعاد العباد اذ ان الشرائع وُضعت لراحة الانسان لا لتكون حجر عثرة في سبيلهِ . وامثلة ذلك في الكتاب كثيرة منها انكارهُ رأي القائلين ان الاصل

في الطلاق الاباحة فانهُ فنَّد اقوالهم مستشهدًا بالقرآن الكريم والاحاديث النبوية مثبتاً ان الطلاق كفران للنعمة وقطع للمودة والرحمة التي جعلها الله تعالى بين الرجل وزوجتهِ وان الشريعة لم تبحهُ الاَّ في احوال خصوصية لا يجوز التوسع فيها فانهُ امرٌ كبير لا يجب ان يقدم عليهِ الانسان اذا امكنهُ اتقاؤُهُ وانما اضطرَّ الشارع الى السماح بهِ دفعاً لشر اكبر منهُ وعلى ذلك الحديث "ابغض الحلال الى الله تعالى الطلاق"

وفي كلامهِ عن طلاق المكره والمخطئ والناسي خالف الامام ابا حنيفة وقال بمذهب القائلين بعدم وقوعهِ لاسباب قوية لا سبيل لردها. وقال ايضاً باظهرية مذهب القائلين بعدم وقوع طلاق السكران ولو سكر بمحظور فالقائلون بوقوعهِ يبنون رأيهم على كون عقلهِ قد زال بسبب معصية فلذلك يقع الطلاق عقاباً لهُ . وقد ردَّ عليهم الشارح بقولهِ "والظاهر عدم وقوع طلاق السكران ولو سكر بمحظور لان الطلاق ليس عقاباً لهُ فقط بل يترتب عليهِ قطع الزواج المترتبة عليهِ المصالح الدينية والدنيوية والاضرار بالزوجة واولادها منهُ واهلها فلو اوقعنا طلاق السكران لعاقبنا غير المذنب ممن ذكر وهو غير جائز فلا يعاقب الاَّ السكران وعقابهُ يكون بالحد لينزجر عن مثل هذا ويعتبر غيرهُ"

وقد خالف الشارح مذهب الذين يقولون ان نفقة طعام الزوجة تقدَّر "بقدر حال الزوجين يسارًا واعسارًا فان كانا موسرين فنفقة اليسار وان كانا معسرين فنفقة الاعسار وان كانا مختلفين حالاً فنفقة الوسط فلو كان الزوج هو الفقير لا يخاطب الاَّ بقدر وسعهِ والباقي دين عليهِ الى الميسرة" فان في الحكم الاخير من هذه المادة غبناً عظيماً على الزوج. وقد اوضح الشارح ان الاظهر هو رأي القائلين بان النفقة تقدر بحسب حال الزوج وحدهُ فلا يكلف الاَّ بقدر طاقتهِ واستشهد على ذلك بالآية "لينفق ذو سعة من سعتهِ ومن قدر عليهِ رزقهُ فلينفق مما آتاهُ الله لا يكلف الله نفساً الاَّ ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرًا" وهذا الرأي فضلاً عن مطابقتهِ لنص الآية فانهُ اقرب الى العدل والانصاف

ومن المسائل التي اختلف العلماء فيها سقوط نفقة المرأة التي تمتنع عن السفر مع زوجها فقال بعضهم انهُ اذا كان السفر مسافة قصر فاكثر لم تسقط نفقتها وافتى غيرهم بخلاف ذلك. وقد جاء رأي الشارح في هذه المسألة موافقاً للعصر الحاضر الذي كثرت فيهِ الاسفار وسهلت فيهِ المواصلات بين الاقطار فانهُ قال بتفويض الامر الى القاضي الذي يستفتى فيهِ وعدم الاخذ بواحد من الاقوال على الاطلاق فان الزوج قد يكون غير مأمون ويريد ابعاد زوجتهِ عن اهلها بقصد الاضرار بها فعلى المفتي اذ ذاك ان لا يفتيهُ بقهرها على الانتقال معهُ ثم قد

يكون الزوج من مستخدمي الحكومة وتأمره الحكومة بالانتقال الى مكان آخر فعلى زوجتهِ ان تتبعهُ . وخلاصة القول ان الفتوى بانتقال الزوجة او بعدم انتقالها لا تتوقف على مسافة السفر بل على كون الزوجة في امن من جهة الزوج

وقد اختلف واضعو القانون المدني الفرنساوي في هذه المسألة فانضم نابليون الى القائلين بوجوب انتقال الزوجة مع زوجها لان الزوجية تربط الزوجين في السرَّاء والضرَّاء وجميع احوال الحياة اينما وجدا وهذا هو المبدأ الذي بنيت عليهِ الفقرة الاولى من المادة ٢١٤ من القانون المدني الفرنسوي التي تعريبها "على المرأة ان تسكن مع زوجها وان تتبعهُ الى اي محل يراهُ موافقاً لسكناهُ"

وفي الكتاب امور كثيرة من هذا القبيل تدل على تدقيق حضرة الشارح وسعة اطلاعهِ. وطريقتهُ في تفسير الاحكام العويصة حسنة سهلة المأخذ فانها تجلو غوامضها وتقربها من فهم القارئ . فنتمنى لهذا الكتاب الاقبال الذي يستحقهُ ونثني على مؤلفهِ لاتحافهِ طالبي الحقوق بهذا الكتاب النفيس

نسيم برباري

الراديوم

اصبح هذا العنصر الشغل الشاغل لعلماء الطبيعة ومن لهم مشاركة فيها حتى الجرائد السياسيَّة والمجلات الادبيَّة لا تنفكُّ عن ذكرهِ واستقصاء اخبارهِ لانهُ كشف للعلماء اسراراً غامضة وظهر لهم بمظهر يخالف ما الفوهُ من نواميس الطبيعة واي مخالفة اشد من ان تضع جسماً في الجمد فيذيبهُ ولا يبرد مثلهُ وتضعهُ امام بعض الاجسام فيجعلها تنير في الظلام من غير ان ينبعث منهُ نور منظور. هذا شأن الراديوم فانهُ يوضع في الثلج فيذيبهُ ولا يبرد مثلهُ ويوضع امام حجر من الماس في الظلام فينير الماس كأنهُ عكس النور من جسم منير

وقد ذكرنا في الجزء الماضي ان الاشعة التي تتولد من الراديوم على ثلاثة انواع سميت باسماء الاحرف الثلاثة الاول من حروف الهجاء اليونانية . النوع الاول منها ذرات صغيرة تندفع من الراديوم بعنف شديد وتطير بسرعة فائقة . والنوع الثاني مثل المجاري السلبية المتولدة عند القطب السلبي في البطرية الكهربائية او عند القطب السلبي في انابيب كروكس وهي اوضح الاشعة المتولدة من الراديوم واكثرها نفعاً على ما يظهر حتى الآن وهي التي تجعل بعض الاجسام ينير في الظلام وتؤثر في الواح التصوير الشمسي ولو بعد ان تخرق لوحاً من الحديد

سماكتهُ عقدة (بوصة) والنوع الثالث مثل اشعة رنتجن ويفعل فعلها في التصوير ونحوهِ

قلنا ان بعض هذه الاشعة نافع ومن اوجه نفعهِ التي ظهرت حتى الآن ان يميز بهِ الماس عن الزجاج فاذا وضع حجر من الماس مع قطعة من الراديوم في غرفة مظلمة اضاء الماس ضوءا ساطعاً واما الحجارة الزجاجيَّة التي يقلد بها فلا تضيء مطلقاً

الَّا ان خروج الاشعة من الراديوم وتولدها بسببهِ ليسا بالمميز الوحيد لهُ ولا هو منفرد بهما لان عناصر اخرى تشاركهُ في ذلك حتى الماء الخارج من اعماق الارض كما بيَّن الاستاذ طمسن حديثاً. وكذلك لا يستغرب انبعاث الجواهر منهُ لان الاجسام التي تتبخر تطير الجواهر منها ولكن جواهرها التي تطير تبقى من نوعها تماماً ولو تغير شكلها الطبيعي الظاهر واما جواهر الراديوم فتتغير صفاتها الكيماوية وتصير كأَنها من عنصر آخر ويبقى منها غاز ثقيل في مسام ملح الراديوم اذا مرَّ على مادة مما ينير نوراً فصفوريًّا جعلها تنير نوراً ساطعاً . ولم تعرف حقيقة هذا الغاز الكيماوية حتى الآن ولا تبقى قوة الانارة فيهِ الَّا اياماً اواسابيع ثم انهُ يترك على ما يمرُّ عليهِ من الاجسام راسباً جامدًا يختلف عنهُ ولا تعلم حقيقتهُ ايضاً . وتسهل اذابة هذا الراسب وترسيبهُ ثانيةً من غير ان يُرى او يوزن او يستدلَّ عليهِ بدليل آخر غير قوَّة الانارة التي فيهِ ولا يعلم ماذا يجري لهُ بعد ذلك. ويحتمل انهُ يتولَّد من كل العناصر متولدات مثل هذا ولكن لا سبيل الى الاستدلال عليها ولولا الانارة في ما يتولَّد من الراديوم ما كنا ادركنا وجودهُ

ثم ان هذا الراسب او المتولد يجري مجرى الغاز في مرورهِ من انبوب الى آخر واذا بُرّد الى الدرجة ٢٥٠ تحت الصفر بميزان فارنهيت صار مثل السائلات ولم يعد ينتقل في الانابيب كالغازات ولكن تبقى قوة الانارة فيهِ

فما هو هذا الجسم او الغاز الذي يطير من الراديوم وكيف لا يدرك الَّا بقوة الانارة التي فيهِ ولا يعرف لهُ ثقل مهما دقت الموازين . وهاك ما قالهُ السر اوليفر لدج العالم الطبيعي في هذا المعنى

ان جواهر المادة ليست بسيطةً كما كان يُظن بل هي مركَّبة كلٌّ منها مؤَلف من دقائق صغيرة جداً متحركةً حركة مستمرة ضمن الجوهر وتبقى ضمنهُ بفعل كهربائي يوازن الجذب بالدفع فما دامت هذه الموازنة محفوظة فالجواهر تبقى على حالها ولكن يظهر ان دوام الحال من المحال في كل شيءٍ فان بعض هذه الجواهر وهو واحد من مليون او مليون مليون يقع خلل فيهِ فتزول الموازنة من بين دقائقهِ اما لزيادة سرعتهِ عن الحد الذي تحفظ فيها دقائقهُ بعضها مع

بعض او لسبب آخر فيتكسَّر وتطير شظاياهُ بسرعة فائقة بسرعة عشرين الف ميل في الثانية من الزمان وهي النوع الاول من اشعة الراديوم

فاذا اصابت هذه الشظايا حاجزًا فصفوريًّا جعلتهُ ينير واذا اصابت جواهر اخرى من جواهر الراديوم نفسهِ اضطرت ان تقف في سيرها فتتحوَّل حركتها الى حرارة فتزيد حرارة الراديوم قليلاً باستحالة حركة بعض جواهرهِ الى حرارة . اما الحركة التي كانت تتحركها شظايا جواهرهِ فغير معروفة بين انواع الحركة المعروفة وهي الدوران والانتقال والاهتزاز والشد فيجب ان يزاد الآن الى هذه الانواع الحركة التي تتحركها دقائق الجوهر الفرد

ثم ان خروج هذه الشظايا من الراديوم يصحبهُ ارتجاف في جواهرهِ فتخرج بعض دقائقها منها وهي صغيرة جدًّا ولصغرها تمرُّ في مسام الاجسام كأنها في فلاة قفراء حتى ان لوح الحديد الذي ثخنهُ عقدة لا تجد اقل صعوبة في اختراقهِ وهي النوع الثاني من اشعَّة الراديوم. وخروجها من الراديوم ينتج عنهُ ردٌّ فعل فيهِ تتولد منهُ الاشعة الثالثة من اشعة الراديوم وهي مثل اشعة رنتجن كما تقدم

ثم ان جوهر الراديوم الذي خرج بعض دقائقهِ وطار منهُ لا يبقى جوهرًا كاملاً ولا تبقى فيهِ خواص عنصر الراديوم بل يصير عنصرًا آخر لا يعلم ما هو حتى الآن . لكن الجواهر التي يصيبها ذلك قليلة جدًّا بالنسبة الى ما حولها من الجواهر التي لا يصيبها شيءٌ فلا تدرك وحدها لان الجسم غير قائم بها بل هي فيهِ فضلة زائدة لا يعتد بها كأنها قطرة في بحر وذهاب بعض دقائقها يضعف قوتها فتصير اشد تعرُّضًا للتمزُّق والتفرُّق فتتمزَّق بعد ساعات او ايام ويتولد منها الراسب الذي اشير اليهِ قبلاً وهو غير ثابت ايضًا فيتمزق بعد مدة طويلة او قصيرة وقد تتولَّد منهُ مواد اخرى ولكن الاستدلال عليها صعب لانها ادق من ادق وسائل الكشف المعروفة

واسهب السر اوليفر لدج في تعليل ذلك بما لا يخرج عن حد الظنون وقال انهُ يمكن تفسير نور الحباحب الآن بان الحباحب تتحكم في حركة بعض دقائق جسمها حتى تكون نورًا كنور الراديوم بدلاً من ان تكون حرارة وقد اختار في ما قالهُ عن نور الراديوم وحرارتهُ مذهبًا من مذهبين وهو مذهب الاستاذين رذرفورد وصدي وترك مذهب السر وليم كروكس والدكتور جنصتن ستوني ومفادهُ ان الراديوم يجمع القوى من الاثير المحيط بهِ لان المذهب الاول اوجه من المذهب الثاني ولو لم تقم الادلة الكافية على تأييدهِ حتى الآن

هذا ولا بدَّ من ان يقوم اصحاب التلبثي الآن ويقولوا انهُ اذا خرج من جواهر الراديوم دقائق صغيرة تسير بسرعة عشرين الف ميل في الثانية من الزمان فما ادرانا انهُ لا يخرج من

جواهر الدماغ دقائق صغيرة عند التفكير تسير بمثل هذه السرعة وتؤثر في بعض العقول التي تقبل التأثر بها فيعلل بذلك انتقال الافكار على ما هو مشهور. الآن المحققين يقولون لهم اثبتوا لنا انتقال الافكار اولاً بالدليل القاطع ومتى ثبت لا يتعذر اظهار سببهِ

ربة الحسن والقلم

مدادكِ في ثغر الزمان رضابُ وخطكِ في كلتا يديهِ خضابُ
وكفك مثل البدر قد لاح نصفهُ فلا بدع في ان اليراع شهابُ
كلحظكِ او امضى وان كان آسياً جراح اللواتي ما لهنَّ قرابُ
يمجّ كمثل الشهد مجتهُ نحلة وان لم يكن فيما يمجّ شرابُ
ويكتب ما يحكي العيون ملاحة وما السحر الاَّ مقلة وكتابُ
فدونكِ عيني فاستمدي سوادها وهذا فؤاد طاهر وشبابُ
أرى الكفَّ من فوق اليراع حمامةً وتحت جناحيها يطير غرابُ
كأنَّ اديم الليل طرس كتيبتهِ وفيهِ تباشير الصباح عقابُ
كأن جبين الفجر كان صحيفة كأن سطور الخط فيهِ ضبابُ
كأن وميض البرق معنًى قدحتهِ كأن التماع الافق منهُ صوابُ
كأنكِ اما تنظري في كتابة ذُكاء واوراق الكتاب سحابُ
اراكِ ترجّين الذي لستِ اهلهُ وما كل علم إبرة وثيابُ
كفى الزهر ما تندى بهِ راحة الصبا وهل للندى بين السيول حسابُ
وما احمق الشاة استغرت بظلفها اذا حسبت ان الشياه ذئابُ
فحسبكِ نبلاً قالت الناس أَنجبت وحسبكِ فخرًا ان يصون حجابُ
لك القلب من زوج وَوُلْدٍ ووالد وملك جميع المالكين رقابُ
ولم تخلقي الاَّ نعيمًا لبائس فمن ذا رأى ان النعيم عذابُ
دعي عنكِ قومًا زاحمتهم نساؤُهم فشوكل ماء ناقع وسرابُ
تساووا فهذا بينهم مثل هذهِ وسيان معنى يافع وكَعابُ
وما عجبي ان النساء ترجّلت ولكنَّ تأنيث الرجال عجابُ

مصر مصطفى صادق الرافعي

مصرع ملك

تتضمن ذكر مقتل الملك اسكندر والملكة دراجا زوجتهِ اللذين فتك بهما رؤساء الجيش السربي ونشر خبر حادثتهما المقتطف في الجزء السابق

لم اجد مثلهُ حبيباً اساء ... جلب البغض حبهُ والعداء
ملك كان للهوى عبد رقّ ... يتولاّهُ فاعلاً ما شاء
جعل الملك خاتماً او سواراً ... في يدَيْ زوجةٍ لهُ حسناء
ملكت قلبهُ وعرشاً شقيًّا ... لم يجد بين اهلهِ اكفاء
خادم رأسها تحمَّل تاجاً ... فهوى التاج عزةً وإباء
وارتفاع الوضيع من غير حقّ ... لهو الرزء يجلب الارزاء
ثم قامت تريد ان تهب التا ... ج أخاها تحكُّماً واعتداء
فنما في البلاد حزب انوفٌ ... لم يشأ ان يسوِّد الخدَماء
قال هبُّوا بنا فقد آن ان يضع ... ف مَلْكٌ يظنكم ضعفاء
علموا المستبدّ ان الرعايا ... تحسب الناس والملوك سواء
فاذا اصلحوا فذلك عدل ... واذا أفسدوا استحقوا الجزاء
واتوا قصرهُ وقد بسط الليل ... عليهِ سحابة سوداء
وسكون الدجى يقول هلموا ... لا تخافوا في الارض من رقباء
غفلت عنكم العيون لاني ... قد جعلت الكرى عليها غشاء
فلقوهُ وقد خلا بالتي جرَّ ... هواها عليهِ ذاك البلاء
قال صدري اليكمُ فاقتلوني ... ودعوني اموت عنها فداء
فاستخنوا بهِ وساموهُ امرين ... طلاقاً لها أوِ استعفاء
او فهم جاءلوهُ عبرة قوم ... حكَّموا في السياسة الاهواء
فأبى ان يذلّ من بعد عزّ ... وابى الحبُّ منهُ الاَّ وفاء
والهوى يقتل العزائم حتى ... ينبذ المجدَ أهلهُ والعلاء
فقضى العاشقان قتلاً ومَن لم ... يرحم الناس لم يجد رحماء

قل لبعض الملوك في الشرق عدلاً ... قبل ان تسفك الدماء دماء
ذهب اليوم يوم كانت ملوك ... الارض فيها اربابها الاقوياء

وقضى العدل فيهم للرعايا ان يصيروا خدامها الامناء
ملك السرب مات قتلاً واضحى قاتلوهُ بقتلهِ احياء
ضلَّ من يحسب الرجال ارقاء ومن يحسب النساء اماء
لم يجرْ سيدٌ ولا جار الاَّ بين قوم لا يعرفون اجتراء

القاهرة نقولا رزق الله

عمران العراق

العلم والتعليم

لا نعلم كم عدد العارفين بالقراءة والكتابة الآن في ولاية بغداد بالنسبة الى عدد الاميين ولكن اذا قسنا تلك الولاية بسائر الولايات العثمانية ترجح لنا ان العارفين بالقراءة والكتابة فيها كانوا منذ اربعة آلاف سنة اكثر منهم الآن بالنسبة الى سائر السكان كما ان عمران بلادهم كان ارقى مما وصل اليهِ في هذا العصر. ولو لم يكن لذلك مثيل في القطر المصري لعسر علينا تصديقهُ لكن القطر المصري قد نهض منذ عشرين سنة واذا استمرَّ عشرين سنة اخرى سائرًا في خطة ارتقائهِ لم يبقَ لنا سبيل للشكوى من تأخرهِ

وقولنا ان بلاد العراق كانت منذ اربعة آلاف سنة ارقى عمرانًا مما هي الآن لا يصدَّق ما لم تقم عليهِ الادلَّة وهذه الادلَّة متوفرة الآن بعد ان كُشف كثير من مكاتب البابليين وقرئ ما فيها من الكتب. وصفائح تلك الكتب ليست من الورق ولا من الرق ولا من البردي بل من الخزف ولذلك قاوت الدهر كل هذا الزمان والكتابة دقيقة جدًّا تتعذَّر رؤية بعضها من غير بلورات مكبّرة وهي منقوشة نقشًا قبل شي الخزف

وقد عقد الاستاذ سايس فصلاً مسهبًا في كتابهِ عن بابل واشور تكلَّم فيهِ على التعليم عند البابليين فقال ما خلاصتهُ

شاع التعليم في بلاد بابل من عصر السماريين وقد وجدت صفيحة لتعليم الكتابة وفي اعلاها القاعدة التي يتعلم التلميذ الكتابة عليها ويقال فيها "النجيب في المدرسة يرتقي كالفجر" وكان البنات يتعلمن القراءة والكتابة ومبادئ العلوم كالصبيان . وقد وُجدت مكاتيب كتبتها النساء من ذلك كتاب كتبتهُ امرأة الى ملك مصر وجد بين صفائح تل الامرنة . ويظهر من رقيم كتبهُ رجل الى خطيبتهِ او عشيقتهِ انها كانت تقرأُ وتكتب لانهُ يقول لها فيهِ

ما ترجمتهُ " الى السيدة كسبية هذا ما يقولهُ جميل مرودخ لتعطكِ الهة الشمس الحياة الابدية اني اكتب اليك لاسأل عن صحتك فتكرمي عليَّ بالجواب وقد اتيت بابل ولكنني لم اركِ فانشغل بالي . حينما يأتين اليها ارسلي اخبريني حتى اطمئن تعالي في شهر مرسفان ودام بقاؤكِ للداعي

وقال الملك اشوربنيبال انهُ تعلم في القسم المختص بالنساء من القصر لكن الذين علموهُ كانوا رجالاً

ولم يكن تعلم القراءة والكتابة بالامر السهل لكثرة الحروف او العلامات الدالة على الحروف والكلمات ولكثرة المشابهة بينها ولو اختلفت معانيها ولكثرة الكتابة اساليب واختلاف الحروف باختلافها . وكان ينتظر من التلامذة ان يتعلموا ذلك كلهُ ولبعض حروفهم اكثر من لفظ واحد وكانوا يستعملون بعض العلامات للدلالة على المعاني من غير التجاء الى الحروف الهجائية وكان لابدَّ لهم من تعلم اللغة السمارية مع اللغة البابليَّة اي السامية او العامية ومن كلماتهم ما كان يكتب بحروف سمارية ويلفظ كأنهُ مكتوب بحروف بابليَّة

والظاهر انهم كانوا يعتنون بتعليم اولادهم لان كتاباتهم الباقية الى الآن قليلة الغلط اللغوي وتكاد تكون خالية من كل غلط في التهجئة . وكتب التدريس غاية في الجودة وحسن الاسلوب وفيها كل ما يلزم لتسهيل العلوم وتقريب تناولها

وكان عندهم قواميس للغة السمارية وتفسيرها باللغة البابليَّة اي الساميَّة وكتب صرف ونحوٍ ذكرت فيها قواعد اللغة السمارية باللغة السامية . وكتب للمطالعة مشحونة بفصول وقطع مقتبسة من الكتب البليغة واكثرها باللغة السمارية ولكن تذكر معها ترجمتها باللغة العامية اي لغة بابل او اللغة الساميَّة وعندهم ايضاً تفاسير لكتب المؤلفين الاقدمين فسروا فيها ما اشكل من الفاظها وعباراتها وما غمض من معانيها . وكان التلامذة يكتبون التمارين املاء عن قاعدة توضع امامهم او من ذاكرتهم فيتمرنون بذلك على الخط والتهجئة ويستفيدون من معنى ما يكتبونهُ وبعض هذهِ القواعد تاريخي او جغرافي فيتعلم التلامذة بعض الامور التاريخية او الجغرافية وهم يعلمون الخط والتهجئة . وبعضها شعر او نثر بليغ فيتعلمون البلاغة وهم يتعلمون الخط

ومن رأي الاستاذ سايس ان دقة الحروف التي كانوا يكتبون بها تدعو الى تبصر البصر لان منها مالا يرى الأَّ بالبلورات المكبرة ولكنهم كانوا يكثرون من ترويض اولادهم في الخلاء فيعود بصرهم الى رؤية الاشباح البعيدة

وكان في الكتاب من كتبهم صفائح كثيرة كل صفيحة منها بمثابة فصل قائم بنفسهِ ويكتب في آخر كل صفيحة عدد سطورها والكتاب الذي هي منهُ واول سطر من الصفيحة التي تليها حتى لا يقع خطأٌ في جميع الصفائح بعضها مع بعض . ويطلق على كل مجموعة من هذه الصفائح اسم الكلمة التي تبدئ بها الصفيحة الاولى منها فيقال مثلاً في آخر الصفيحة الرابعة من صفائح خبر الخليقة " فيها مئة وستة واربعون سطرًا وهي الصفيحة الرابعة من الكتاب الذي فاتحتهُ 'الذي لم يعلن في الاعالي' " ويتلو ذلك السطر الاول من الصفيحة التالية. وكان عندهم فهارس كتبوا فيها اسماء الكتب التي في مكاتبهم واسماء مؤلفيها واول سطر من كل كتاب منها وكانوا يرتبون الكتب على رفوف في المكاتب وقد وجد المسيو ده سرزك ٣٢٠٠٠ كتاب منها في جنوبي بلاد الكلدان وكانت لم تزل على ترتيبها الذي رُتبت فيهِ منذ الفين وسبع مئة سنة

والمواضيع التي الفوا فيها كثيرة مثل التاريخ والجغرافية والشريعة والمراسلات العمومية والخصوصية واللغة وعلم الحيوان والجماد والفلك والتنجيم وعلوم الدين. واضافوا الى ذلك البحث في العيافة والعرافة وما اشبه من العلوم الخرافية. ووجد في مكاتبهم دواوين شعرية وكتب ادبيَّة ونسخ من الحجج والصكوك والشروط والاحكام الشرعية والكشوف عن المقتنيات فكانت مكاتبهم بمثابة الكتبخانات والدفترخانات تحفظ فيها كتب العلماء والادباء وسجلات الولاة والقضاة

وكان في كل مدينة كبيرة مكتبة من هذه المكاتب وكُتَّاب او امناء يقومون على حراسة كتبها ونسخ ما قدُم عهدهُ منها و تصحيحهِ او تأليف كتب جديدة . ويراد بالتصحيح اعادة الحروف التي طمست لقدم عهدها وكان الكاتب لا يقدم على تصحيح حرف من ذلك الاَّ بعد ان يثبت الصورة التي وجدهُ فيها والصورة يظن انها كانت لهُ . وكان هؤلاء الكتبة غاية في التدقيق والامانة فلا يلقون الكلام على عواهنهِ ولا يأنفون من الاعتراف بالجهل اذا جهلوا شيئاً

واذا حارب ملوكهم بعضهم بعضاً قتلوا الرجال واستحيوا الكتب لاعتقادهم انها في حرز الالهة. فكانوا ينقلونها من مدينة اخرى كانها كنوز ثمينة ويضعونها في هياكلهم غالباً ولذلك كان نسخها والقيام على حفظها من الاعمال الدينية التي تنيل فاعلها رضى الالهة وغفران ذنوبهِ

وكانت المدارس تُبنى الى جانب المكاتب حتى يستفيد الطلبة من مطالعة الكتب. واتسعت مدارسهم على مرور الايام حتى صارت كليَّات جامعة كالكليَّة التي ذكرها المؤرخ سترابو وقال انها كانت في ضواحي بابل والظاهر انها كانت لتعليم صناعة الطب خاصَّة كما يظهر من كتاب طبي وجد فيها وهو الآن في دار التحف البريطانية

ولشيوع التعليم في بابل كثرت اساليب الخط ولم تعد لهُ طريقة واحدة كما في البلدان

التي ينحصر العلم فيها في طبقة مخصوصة من الناس . وقد وُجدت نسخة من كتاب الخليقة نسخها ابن رجل فقير من الذين يُستخدمون لري الارض . فاذا تعلَّم اولاد الاجراء الفقراء القراءة والكتابة فذلك دليل على ان التعليم كان شائعاً تمام الشيوع . ويستدلُّ من بعض الحجج والصكوك ان العبيد كانوا يحسنون القراءة والكتابة ايضاً

ولم يقتصر تعليمهم على قراءة الكتب وكتابتها بل كانوا يضطرون الى تعلم اللغة السمارية القديمة بعد ان أُهملت ولم يعد يتكلَّم بها الأ العلماء وصارت كالعربيَّة الفصيحة بالنسبة الى العاميَّة او كاللاتينية بالنسبة الى الايطالية والفرنسوية

وكان اولادهم يتعلمون اللغة السمارية كما يتعلَّم ابناء اوربا اليوم اللغة اللاتينيَّة او كما يتعلَّم اولادنا العربيَّة المعربة بحفظ قواعد الصرف والنحو ومطالعة كتب الادب ودواوين الشعراء واستظهار كثير منها الأَّ انهم فاقونا في كتابة لغتهم البابلية فكانوا يترجمون من اللغة القديمة (اي السمارية) الى اللغة الحديثة (اي البابلية او الساميَّة) وبالعكس ولا يزال كثير من التمارين التي كانوا يتمرنون بها على هذه الصورة لتعلُّم اللغة القديمة محفوظاً الى الآن

ثم انهم كانوا يتعلمون لغات الامم المجاورة لهم ولما انتشرت اللغة الارامية لغة سورية وصارت لغة التجارة كالفرنسوية الآن صار البابليون يتعلمونها ويستعملونها في تجارتهم كما يتعلم اولادنا اللغة الفرنسوية . واقام التجار الاراميون اي السوريون في بابل واشور وانشأُوا فيها محلات تجارية واسعة كما اقاموا في مرسيليا وقرطاجنة ومصر في الزمن القديم وكما لا يزالون يقيمون حتى الآن في مراكز العمران فترى بيوتهم التجارية في الاسكندرية ومرسيليا وباريس ولندن ومنشستر ونيويورك . ولما جاء ربشاقى وزير سنحاريب الى اودشليم ليخاطب اهلها في امر التسليم على ما جاء في التوراة طلب رؤَساء اليهود منهُ ان يكلمهم بالارامية لا باليهودية على مسامع الشعب فابي الأَّ ان يكلمهم باليهودية . ويستدل من ذلك انهُ كان يعرف الارامية واليهودية ايضاً مع انهُ لم يكن من علماء امتهِ بل من وزرائها

ثم ان اعتناءهم بتعليم اللغات دعاهم الى المباحث اللغوية ولا سيما الى البحث عن اشتقاق الكلمات في لغتهم واللغات المجاورة لهم وعن معاني الاعلام في اللغة السمارية القديمة

وكانوا يميلون الى علم التاريخ ولو لم يبرّزوا فيهِ كالاشوريين . وآخر ملك من ملوكهم كان مؤَرخاً وباحثاً عن تواريخ اسلافهِ وقد نقب في اطلال المدن القديمة ليقف على الحقائق التاريخية الأَّ انهم لم يقتصروا على العلوم الصحيحة بل عكفوا ايضاً على العلوم الباطلة كالعرافة والتنجيم وكان للعرافة شأن كبير عندهم لانهم كانوا يميلون الى البحث عن العلل فاذا رأَوا شيئاً

سبق معلولاً وجرى على نسق واحد مرارًا قالوا انهُ علة لهُ فاذا دخل كلب بيتًا ولم يمرض احد من ابنائهِ اوكان مريضًا فشفي قالوا ان دخول الكلاب الى البيت فال حسن وان دخل بيتًا فمرض واحد من ابنائهِ اوكان مريضًا فاشتدَّ مرضهُ قالوا ان دخول الكلاب بيتًا شؤم على سكانهِ. واتفق ان ولدًا ولد من غير فم وانهدم بيت عند ولادتهِ فقالوا ان انهدام البيت نتيجة لازمة عن ولادة ولد من غير فم او مشوَّه الخلقة وهلم جرًّا. وقد جمعوا كثيرًا من هذه الحوادث الجزئية وبنوا عليها احكامًا كلية مع قلة الاستقراء فيها وقلَّة الرابطة بين ما ظنوهُ علة وما ظنوهُ معلولاً

ومن هذا القبيل علم التنجيم فانهم استدلوا بالحوادث الفلكيَّة على الحوادث الارضيَّة وربطوها بها لكن علم التنجيم لم يكن عقيمًا لانهُ دعاهم الى تخطيط السماء وقسمة نجومها الى مجاميع وتعيين الابراج لنزول الشمس والقمر. وحسبوا اوقات الخسوف والكسوف بعد مراقبات كثيرة مدة سنين عديدة وكتبوا في النجوم ذوات الاذناب وفي اقترانات الشمس والقمر ومدة دوران القمر والزهرة. وقسموا السنة الى اثني عشر شهرًا كلاً منها ثلاثون يومًا واضافوا اليها شهرًا كل نحو ١٢٠ سنة ليزول الفرق وسمُّوا الشهور اولاً باسماء ابراج السماء وكان عندهم سنة قمريَّة وسنة شمسيَّة وحسبوا نجم العيوق مبدأً حسبوا منهُ بُعْد الشمس للاستدلال على بدء السنة ثم جعلوا يحسبون بداءة السنة من الاعتدال الربيعي. وهذه الحقائق وامثالها علمت اكثرها من المكاتيب الباقية الى الآن بين آثار بابل واشور ومصر مثال ذلك كتاب كتبهُ طبيب اسمهُ ارادنانا الى الملك اسرحدُّون يقول لهُ فيهِ اما من جهة الرعاف فيظهر من تقرير الرب ماج (اي رئيس الاطباء او الحكيمباشي) انهُ حدث نزف كثير امس نحو المساء لان الرفادة لم توضع في مكانها بل وُضعت خارج المنخرين فعاقت التنفُّس ووقعت حالما ابتدأ النزف فيجب ان توضع داخل المنخرين فتمنع الهواءَ وتوقف النزف واذا شاء سيدي الملك فاني اذهب غدًا بنفسي وارشدهم الى مايجب عملهُ ". وكتاب آخر كتبهُ هذا الطبيب الى الملك يقول فيهِ " الى الملك سيدي من عبدهِ ارادنانا سلام ابديٌّ للملك سيدي ان حالة المصاب بالرمد آخذة في التحسُّن فقد وضعت رفادة على عينيهِ ونزعتها امس مساءً فوجدتُ عليها صديدًا كرأس الخنصر. ليفرح سيدي الملك وليطمئن بالهُ فان الرمد سيشفى تمامًا في سبعة ايام او ثمانية "

وكتب منجم اسمهُ ايبل استار الى ملك اشور وكان هذا الملك قد كتب اليهِ من نينوى ليرصد لهُ خسوف القمر وكسوف الشمس فقال " اما من حيث خسوف القمر الذي كتب اليَّ عنهُ سيدي الملك فقد اقمت الرصَد على رصدهِ في اكد وبرسبّا ونبور " ثم يتلو ذلك وصف الكسوف لكن الكتابة ممحاة تعسر قراءتها الان. الى ان يقول " وقد امرني سيدي الملك

ان ارصد كسوف الشمس ايضاً فوجدت بعد المراقبة ان الكسوف للقمر لا للشمس وقد كان تامًّا في بلاد الشام ووقع الظل على بلاد الاموريين وبلاد الحثيين وجانب من بلاد الكلدانيين"

ويظهر من ذلك انهُ كان عند البابليين مراصد كثيرة لرصد الافلاك وانهم كانوا يعرفون من علم الطب وعلم الفلك اكثر مما يعرف خلفاؤُهم الآن وقس على ذلك سائر العلوم. فاين ضاع ذلك العمران وماذا حلَّ بهِ ولماذا لا ترجع البلاد الى عهدها الاول اذا لقيت من العناية ما لقيت منذ اربعة الاف عام حين كانت وسائط العمران على اقلها في الدنيا كلها

التدوين في الاسلام

لا يعلم على التحقيق اذا كان العرب قبل الاسلام دوّنوا شيئاً من آدابهم واخبارهم لغلبة الامية على سكان وسط الجزيرة اما في الاسلام فبدأ تدوين القرآن ثم تبعهُ تدوين الآثار وغيرها . اخرج البخاريُّ عن زيد بن ثابت قال ارسل اليَّ ابو بكر مقتل اهل اليمامة وعندهُ عمر فقال ابو بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بالناس واني لاخشى ان يستحرَّ القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن الَّا ان يجمعوهُ واني لارى ان يجمع القرآن. قال ابو بكر فقلت لعمر كيف افعل شيئاً لم يفعلهُ رسول الله صلى الله عليهِ وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني فيهِ حتى شرح الله لذلك صدري فرأيت الذي رأى عمر .قال زيد وعمر عنده جالس لا يتكلم . فقال ابو بكر انك شاب عاقل ولا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ص) فتتبع القرآن فاجمعهُ. فوالله لو كلفني نقل جبل ما كان اثقل عليَّ مما كلفني بهِ من جمع القرآن. فقلت كيف تفعلان شيئاً لم يفعلهُ النبي (ص) فقال ابو بكر هو والله خير . فلم ازل اراجعهُ حتى شرح الله صدري للذي شرح الله صدر ابي بكر وعمر فتتبعت القرآن اجمعهُ من الرّقاع والاكتاف والعشب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم اجدها مع غيره " لقد جاءكم رسول من انفسكم " الى آخرها فكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند ابي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها اه

هكذا دُوّن اول كتاب واشرفهُ في الاسلام اما العلوم الاخرى فقد ذكر احد الثقات ان اول من أَلف في المغازي موسى بن عقبة بن صغار التابعين وقال بعضهم ان التدوين لم يحدث الا سنة سبعين للهجرة ويقال ان الصحابة دونوا شيئاً من الحديث . وفي صحيح

البخاري" ان عمر بن عبد العزيز كتب الى ابي بكر بن حزم انظر ما كان من حديث رسول الله (ص) فاكتبهُ فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا يقبل الا حديث النبي (ص) وليفشوا العلم وليجلسوا حتى يعلَّم من لا يعلم فان العلم لا يهلك حتى يكون سرًّا . ولا عجب اذا كان هذا مبلغ عناية القوم في الصدر الاول بامر التدوين فقد ورد الاثر قيدوا العلم بالكتابة وفي رواية بالكتاب

قال حسن صديق خان في ابجد العلوم واعلم انهُ اختُلف في اول من صنف فقيل الامام عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج البصري" المتوفى سنة خمس وخمسين ومائة وقيل ابو النصر سعيد بن ابي عروبة المتوفى سنة ست وخمسين ومائة ذكرهما الخطيب البغدادي وقيل ربيع بن صبيح المتوفى سنة ستين ومائة قالهُ ابو محمد الرامهرمزي ثم صنف سفيان بن عيينة ومالك بن انس بالمدينة المنوّرة وعبد الله بن وهب بمصر ومعمرٌ وعبد الرزاق باليمن وسفيان الثوري ومحمد بن فضيل بن غزوان بالكوفة وحماد بن سلمة وروح بن عبادة بالبصرة وهشيم بواسط وعبد الله بن مبارك بخراسان

وقال بعض المؤرخين ان اول كتاب أُلف في الاسلام كان في القرن الثاني وهو كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير ثم تبعهُ كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن في السنين النبوية المأثورة ثم كتاب الموطأ . وقد انكر الامام احمد بن حنبل على مؤلفهِ الامام مالك في انهُ اتى ما لم يأتهِ الصحابة . وقال غيرهُ ان قد دوّن مالك ومحمد بن عبد الرحمن بن ابي ذئب بالمدينة وابن جريج وابن عيينة بمكة والتوزي" بالكوفة وربيع بن الصبيح بالبصرة

حكى السيوطي" ان المنصور لما حج قال لمالك قد عزمت ان آمر بكتبك هذه التي صنفتها فتنسخ ثم ابعث في كل مصر من امصار المسلمين منها نسخة وآمرهم بان يعملوا بما فيها ولا يتعدوا الى غيرهِ فقال يا امير المؤمنين لا تفعل هذا فان الناس قد سبقت اليهم اقاويل وسمعوا احاديث ورووا روايات واخذ كل قوم بما سبق اليهم واتوا بهِ من اختلاف الناس فدع الناس وما اختار اهل كل بلد منهم لانفسهم . ويحكى نسبة هذه القصة الى هرون الرشيد وانهُ شاور مالكًا في ان يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيهِ فقال لا تفعل فان اصحاب رسول الله (ص) اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان وكلٌّ سنةٌ مضت قال وفقك الله يا ابا عبد الله

هذا ما كان من امر العلم الاسلامي اما العلوم السائرة فقد ذكر ابن عبد ربه ان عبد الله بن يزيد كان ناسكًا وخالد بن يزيد عالمًا لم يكن في بني أُمية ازهد من هذا ولا اعلم من هذا قال ابن خلكان كان خالد من اعلم قريش بفنون العلم ولهُ كلام في صنعة الكيمياء والطب

وكان بصيرًا بهذين العلمين واخذ الصنعة عن رجل من الرهبان يقال لهُ مريانس الرومي ولهُ فيها ثلاث رسائل تضمنت احداهنَّ ما جرى لهُ مع مريانس وصورة تعلمهِ منهُ والرموز التي اشار اليها . وخالد مات سنة خمس وثمانين للهجرة

ويقول ابن خلدون ان اول من دوّن في الكيمياء عند العرب جابر بن حيَّان امام المدونين حتى انهم يخصونها بهِ فيسمونها علم جابر قال وربما يُعزى الكلام فيها الى من ليس من اهلها وربما نسبوا بعض المذاهب والاقوال فيها لخالد بن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن الحكم ومن المعلوم البيّن ان خالدًا من الجيل العربي والبداوة اليهِ اقرب فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة فكيف لهُ بصناعة غريبة المنحى مبنيَّة على معرفة طبائع المركبات وامزجتها وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم اللهمَّ الاَّ ان يكون خالد بن يزيد آخر من اهل المدارك الصناعية تشبه باسمهِ فممكن . ويؤخذ مما قالهُ محمد بن عمرو بن سعيد بن العاصي وكان قدم الشام فاتى عمتهُ امنة بنت سعيد بن العاصي وكانت عند خالد بن يزيد بن معاوية فدخل عليهِ فرآهُ فقال لهُ ما يقدم علينا احد من اهل الحجاز الاَّ اختار المقام عندنا على المدينة فظن محمد انهُ يعرّض بهِ فقال وما يمنعهم وقد قدم من المدينة قوم على النواضح (الجمال) فتزوجوا امك وسلبوك ملكك وفرغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب ومعالجة ما لا تقدر عليهِ يعني الكيمياء وكان يعلمها — يفهم من قولهِ ان خالدًا كان يعاني الكيمياء وهذا يؤيد ما رواهُ ابن خلكان من رسائلهِ فيها

وروى ابو عبيدة وابن خلكان وغيرهما ان كتب عمرو بن العلاء احد القراء السبعة وكان اعلم الناس بالادب والعربية والقرآن والشعر ان كتبهُ التي كتبها عن العرب الفصحاء قد ملأَت بيتًا الى قريب من السقف ثم انهُ تقرَّا اي تنسّك فاخرجها كلها وقيل احرقها فلما رجع الى علمهِ الاول لم يكن عندهُ الاَّ ما حفظهُ بقلبهِ . وكانت ولادة عمرو بن العلاء سنة سبعين وقيل ثمان و ... ين وقيل خمس وستين وتوفي سنة نيف وخمسين ومائة . وكيف يا ترى بدأ التدوين من القوة والكثرة حتى بلغت كتب ابن العلاء مخدعًا كاملاً في منتصف القرن الثاني على ان ذلك لا يستكثر من العرب وقد كانت نشأتهم الاجتماعيَّة على ما عُرف من القوة المدهشة

وقال القرماني ان السفَّاح اول خلفاء بني العباس كان اول خليفة قرّب المنجمين وعمل باحكام النجوم واول خليفة ترجمت لهُ الكتب السريانية والاعجمية بالعربية ككتاب كليلة ودمنة واقليدس . وقال الذهبي في سنة ثلاث واربعين ومائة شرع علماء الاسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير فصنف ابن جريج بمكة ومالك الموطأ بالمدينة والاوزاعي بالشام وابن

ابي عمرويه وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة ومعمر باليمن وسفيان الثوري بالكوفة وصنف ابن اسحق المغازي وصنف ابو حنيفة الفقه ثم بعد يسير كثر تدوين العلم وتبويبهُ ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وفي هذا العصر كان الائمة يتكلمون من حفظهم ويروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة

وقال الغزالي اذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدًا غير مرضي فالاعتماد على الكتب والتصانيف ابعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر التابعين وانما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين رضي الله عنهم وبعد وفاة سعيد بن المسيَّب والحسن وخيار التابعين بل كان الاولون يكرهون كتب الاحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ . ولذلك كره ابو بكر وجماعة من الصحابة (رض) تصحيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئًا ما فعلهُ رسول الله (ص) وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا نترك القرآن يتلقاهُ بعضهم من بعض بالتلقين والاقراء ليكون هذا شغلهم وهمهم حتى اشار عمر (رض) وبقية الصحابة بكتب القرآن خوفًا من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذرًا من ان يقع نزاع فلا يوجد اصل يرجع اليهِ في كلمة او قراءة من المتشابهات فانشرح صدر ابي بكر (رض) لذلك فجمع القرآن في مصحف واحد وكان احمد بن حنبل ينكر على مالك في تصنيف الموطإ ويقول ابتدع ما لم تفعلهُ الصحابة (رض) وقيل اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء واصحاب ابن عباس (رض) بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيهِ سننًا مأثورة نبوية ثم كتاب الموطإ بالمدينة لمالك بن انس ثم جمع سفيان الثوري ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام

محمد كرد علي

(المقتطف) يتضح مما تقدَّم على ما فيهِ من الاختلاف الكثير ان العرب لم يدونوا كتابًا من كتبهم الَّا في اواخر المئة الاولى او اواسط المئة الثانية . ولا يخفى ان مدائن مصر والشام والعراق وسائر بلاد فارس التي فتحوها في القرن الاول كانت حافلة بالكتب والمكاتب وان صناعة الكتابة كانت معروفة عندهم فتوقُّفهم عن كتابة اخبارهم الى ما بعد الهجرة بسنين كثيرة امر عجيب في ذاتهِ واعجب منهُ ان يكتبوا في المئة الثانية ما سمعهُ اجدادهم في المئة الاولى ولا يخطئوا ونحن لا نستطيع اليوم ان نروي خبرًا سمعناهُ في العام الماضي او نصِفَ حادثة شاهدناها منذ عامَين

مَنُّ النبات

كثيرًا ما ترى على اغصان الورد الطرية حشرات صغيرة جدًّا خضراء منتشرة بعضها بجانب بعض حتى تغطي الغصن الذي هي عليهِ . وترى مثلها على اغصان اللوز والخوخ وما اشبه لكنها تكون هناك سوداء او بنية اللون. وتراها ايضاً على بعض البقول كالخيار والقثاء والكرنب وهي اما خضراء او رمادية اللون. ويطلق عليها كلها اسم مَنّ النبات وهي من جنس واحد ولكن اختلاف طرق معيشتها والفصول التي تظهر فيها والنباتات التي تعيش عليها جعلها تختلف لونًا وتختلف بناء ايضاً فمنها ما يلصق بما يقع عليهِ من النبات بشوكة لولبيَّة يغرزها في ورق النبات او لحائهِ حتى لا تعصف بهِ الرياح ومنها مالا يستطيع الطيران ما لم يلقِ نفسهُ على ظهرهِ ويدور على نفسهِ بسرعة نحو خمس عشرة دورة

واغرب من ذلك ان من المن ما يتعاقب في تولدهِ فيلد اولادًا تخالفهُ تمام المخالفة حتى لا يظن احد انها اولادهُ ثم تلد هذه الاولادُ اولادًا مثل اجدادها تمامًا ويدور الدور على ما تقدم فيتماثل النسل الاول والثالث والخامس والسابع وهلمَّ جرًّا ويتماثل ايضاً النسل الثاني والرابع والسادس والثامن ولكن الاول لا يماثل الثاني ولا الثاني الثالث اي ان الولد يخالف اباهُ ويماثل جدَّهُ . وقد يعيش النسل الاول والثالث على ورق النبات واما النسل الثاني والرابع فلا يعيشان على الورق بل على الجذور تحت الارض

وتتفق انواع المن في انها كلها آلات حيَّة لصنع العسل او الدبس من عصار النبات . وقد ذقنا عسلها مرارًا فوجدناهُ مثل احلى انواع العسل طعمًا من ان عصار النبات الذي كان عليهِ مرٌّ عفص . فتراهُ يغرز خرطومهُ في قشر الاغصان او الاوراق ويمتص العصار منها ويخرجهُ من قرنين في ظهرهِ فيخرج منهما سائلاً دبقًا كقطر السكَّر . والنمل المشهور بحبهِ للمواد الحلوة الطعم واستنشاقهِ رائحتها عن بُعْد يسعى وراءهُ ويمتص عسلهُ او يدغدغهُ بقرنيهِ حتى يفرز العسل كأنهُ الحلاَّبات يحلبن البقر . واذا كان لا بدَّ للمن من ان يعيش على النبات فالنمل رحمة للنبات لا نقمة لانهُ اذا لم يتلقَّ العسل وياكلهُ سقط على اوراق النبات وانبسط عليها وطلاها بطلاء كالغراء فتيبس لانهُ يسدُّ مسامها ويمنع تنفسها . غير ان فائدة النمل هذه يوازيها ضررهُ في نقل المن من غصن الى آخر . ويقال ان النمل لا يكتفي بتسويم بقرات المن وحلبها بل يزربها في قراهُ ايام اشتداد البرد حتى يغتذي بعسلها حينئذٍ

وتتفق اكثر انواع المن ايضاً في انها تبقى بلا اجنحة ما دام طعامها غزيرًا ومرعاها نضيرًا

ولكن اذا قلَّ الغذاء وصار لا بدَّ لها من الرحيل او تموت جوعاً نبتت لها اجنحة فتشد الرحال لانتجاع مراعٍ جديدة

ومن اغرب ما في طبائع المن كثرة توالدهِ فان الواحدة منهُ تصير ٢٥ في يومين وكل واحدة من اولادها تصير ٢٥ في يومين آخرين وهلم جرًّا وسبب هذا التكاثر ان المن قلما يبيض بيضاً والغالب ان صغارهُ تتفرع من جسمهِ تفرُّعاً كما تتفرَّع البراعم من اغصان النبات ويتكرَّر ذلك الى ان يقبل فصل الشتاء ببردهِ فيبيض بيضاً حينئذٍ لان البيض اقوى على احتمال البرد من الحيوان الصغير اما في الربيع والصيف فيكون تولدهُ بالتبرعم كالنبات ويكون كلهُ اناثاً تلد كذلك الى ان يحين الوقت الذي تبيض فيهِ بيضاً فتولد منهُ حينئذٍ ذكور تتزاوج مع الاناث وتبيض الاناث بيضاً

وقد بيَّن الاستاذ هكسلي بالحساب انهُ اذا ولدت كل منة كل ما تستطيع ولادتهُ وولدت كلٌّ من اولادها كل ما تستطيع ولادتهُ ايضاً الى عشرة اعقاب بلغ عدد العقب الاخير تسعة وعشرين رقماً من الارقام العددية اي عشرة آلاف مليون مليون مليون فاذا حسبنا ان ثقل كل عشرة الاف منة حبَّة واحدة وحسبنا ان ثقل الرجل مليونا حبة فثقل اولاد تلك المنة الواحدة في العقب العاشر فقط ثقل خمسة آلاف مليون مليون رجل اي اكثر من ثقل سكان المسكونة ثلاثين مليون مرة ولكن حياة المن ظل زائل تراهُ اليوم يغطي اغصان النبات واوراقهُ وتأتي في الغد او بعد ايام قليلة فلا تجد منهُ شيئاً فاين يذهب وكيف يضمحل

لكل شيءٍ آفة من جنسهِ وآفة المن ثلاثة انواع من الحشرات النوع الاول حشرة نمسية صغيرة جدًّا تبيض على المن بيضاً ميكروسكوبيًّا وتولد صغارها من هذا البيض وتخرق جلد المن وتأكل ما فيهِ فتغادرهُ قشراً خالياً خاوياً واذا نظرتَ الى غصن عليهِ المن تجد بينهُ قشوراً رقيقة يعبث بها الهواء وكل قشرة مثقوبة ثقباً مستديراً في ظهرها فمن هذا الثقب خرجت الحشرة النمسيَّة بعد ان التهمت ما في باطن المنة

والنوع الثاني دود الفراشة الصغيرة التي لها اجنحة بيضاء ضاربة الى الخضرة فانهُ يتلمَّس بين الاغصان لانهُ اعمى لا يبصر فيهتدي الى المن ويلتهمهُ يمتص ما في بدنهِ ويلصق جلدهُ بظهرهِ فترى الدودة وظهرها مرصَّع بجلود قتلاها

والنوع الثالث آكال المن وهو حشرة صغيرة تلتهم ستين منة في الساعة وضعنا حشرة منهُ على وردة مصابة بالمن ثم اتينا في اليوم التالي فلم نرَ عليها غير آثاره قشوراً دقيقة لاصقة بالاوراق والاغصان. ولا يفلُّ الحديد الَّا الحديد

حقوق الصحف والمشتركون فيها

وضع صاحب المنار الاغر فصلاً مسهباً موضوعهُ قرَّاء الصحف المنتشرة . بيَّن فيهِ احوال المشتركين في مجلتهِ من حيث وفاء الحقوق فقال انهُ وجد مسلمي بلاد الروس احسن خلق الله وفاء . وان تجار العرب في الهند وجاوى وسنقافورة يرسلون قيم الاشتراك من غير مطالبة . واسوأهم معاملة واكثرهم مطلاً واهمالاً مسلمو الهند وبينهم اهل الجزائر فان كثيرًا من المشتركين في هذين القطرين ليقرأُ المجلة او الجريدة عدة سنين ولا يخطر ببالهِ ان يرسل الى صاحبها شيئًا واهل المغرب الاقصى كاهل الجزائر الاَّ افرادًا في مدينة فاس يشبهون مسلمي روسيا في الوفاء . والبلاد العثمانية نزلت عليها آية الحجاب فلا كلام فيها

ثم انتقل الى القطر المصري فقال ان احسن الناس وفاء المهندسون ولعلَّ السبب في ذلك تأثير العلوم الرياضية في نفوسهم كما تؤثر في عقولهم فانها هي العلوم التي ليس فيها اوهام ولا ظنون فاسدة ولا خرافات ولا مسائل تؤخذ بالتقليد الاعمى . اما علماء الدين او قضاة الشرع او القضاة عامَّة فيحسب غير الخبير انهم احسن الناس وفاء لانهم هم الذين يعملون لاقامة العدل واداء الحقوق لكن ليس هذا الحسبان بصحيح . والمطل على اشدهِ في اهل البطالة ثم في كتَّاب الدواوين وغيرها . ويكثر المطل واللي وهضم حقوق العلم والادب في رجال القضاء ورجال النيابة

ومدح المشتركين في المنار من العمد ولم يستثنِ منهم الاَّ اثنين وشكا مرَّ الشكوى من مكاتبي الجرائد او طالبي مكاتبتها

وقد اذكرنا بحث صاحب المنار بحثًا مثلهُ للفيلسوف هربرت سبنسر ظهر لهُ منهُ ان خَدَمة الدين اقل وفاء بالحقوق من غيرهم . والتفتنا نحن الى المشتركين في المقتطف والمقطم في هذه العاصمة وقسمناهم الى ست فرق علماء وقضاة ومحامين ومستخدمي حكومة وتجار واصحاب املاك فوجدنا ان اكثر المشتركين في المقطم والمقتطف من اصحاب الاملاك ويتلوهم موظفو الحكومة فالتجار فالعلماء فالمحامون فالقضاة على هذه النسبة

اصحاب الاملاك	٥١	في المئة
موظفو الحكومة	٢٣	" "
التجار	١٠	" "
العلماء	١٠	" "

المحامون	٤.	في المئة
القضاة	٢	" "

ولعلَّ هذه النسبة موافقة لنسبة الاهالي الذين يحسنون القراءة ويستطيعون الاشتراك في الجرائد والمجلات. وليس العبرة بها بل بما يدفعهُ هؤُلاء المشتركون من قيم الاشتراكات وما يمطلون في دفعهِ حتى يضيع على اصحابهِ فقد جمعنا المتأخرات عند الذين كانوا مشتركين فوجدنا موظفي الحكومة وهم ٢٣ في المئة من المشتركين عدهم من المتأخرات لنا ٦٣ في المئة وعند اصحاب الاملاك والتجار ١٠ في المئة وعند المحامين ٧ في المئة وعند العلماء ٦ في المئة وعند القضاة ٤ في المئة. ونسبة قيم الاشتراكات والمتأخرات على ما ترى في هذا الجدول

اصحاب الاملاك	٥١	في	المئة	من	مجموع المشتركين	وعليهم	١٠	في	المئة	من	مجموع المتأخرات
الموظفون	٢٣	"	"	"	"	"	٦٣	"	"	"	"
التجار	١٠	"	"	"	"	"	١٠	"	"	"	"
العلماء	١٠	"	"	"	"	"	٦	"	"	"	"
المحامون	٤	"	"	"	"	"	٧	"	"	"	"
القضاة	٢	"	"	"	"	"	٤	"	"	"	"

واذا حسبنا قيمة الاشتراكات السنويَّة الف جنيه وقيمة المتأخرات السنوية مئة وخمسين جنيها فالمتأخر منها عند كل طائفة من الطوائف المتقدمة ما ياتي

اصحاب الاملاك	قيمة اشتراكاتهم ٥١٠ جنيهات	يتأخر	منها	سنويًّا	١٥ جنيهًا	اي	٣	في المئة
الموظفون	٢٣٠ جنيهًا	"	"	"	١/٢ ٩٤	"	١/٢ ٤٠	"
التجار	١٠٠ جنيه	"	"	"	١٥	"	١٥	"
العلماء والمعلمون	١٠٠	"	"	"	٩	"	٩	"
المحامون	٤٠ جنيهًا	"	"	"	١/٢ ١٠	"	٢٥	"
القضاة	٢٠	"	"	"	٦	"	٣٠	في المئة

وحينئذٍ تصير نسبة هذه الطوائف من حيث مبادرة افرادهم الى دفع الحقوق في اوقاتها على ما في الجدول التالي

اصحاب الاملاك	يتأخر عندهم	٧	في	المئة	من	حقوق الجرائد	والمجلات
العلماء	"	٩	"	"	"	"	"
التجار	"	١٥	"	"	"	"	"

المحامون	"	"	٢٥ في المئة من حقوق الجرائد والمجلات			
القضاة	"	"	٣٠	"	"	"
الموظفون	"	"	٤٠ ١/٢	"	"	"

وهذه النتيجة تطبق على نتيجة صاحب المنار الآ من حيث العلماء ولعلَّ سبب ذلك اننا جمعنا معهم المعلمين . اما موظفو الحكومة فاكثرهم من المستخدمين الصغار لا من الموظفين الكبار ومن الغريب ان يدخل حضرات القضاة والمحامين في باب المطل ولو لم تكن النتيجة التي وصلنا اليها نحن مطابقة للنتيجة التي وصل اليها صاحب المنار لظننا حسابنا خطا

غير ان الذين عددناهم مماطلين في دفع اموال الجرائد ليسوا من مشتركي المقتطف والمقطم الآن بل قد قطعنا الجرائد عنهم كلهم ولعلنا اذا اعدنا هذه المقابلة بعد عام او عامين لم نجد من المماطلين بين المشتركين الاَّ عدداً قليلاً جداً

العرافة الحديثة

للمستر ستد صاحب مجلة المجلات الانكليزية وَلَع شديد بالبحث عن غرائب التنويم واعتقاد راسخ بان بعض الذين ينامون نوم الاستهواء يخترقون حجاب الغيب ويدركون المغيَّبات فهم من اهل العرافة في اوسع معانيها . وقد اضرم نار جدال عنيف في الجرائد الانكليزية بعد مقتل ملك السرب وزوجته زاعماً ان امرأة عرَّافة انبأت بذلك منذ العشرين من شهر مارس الماضي . ثم بسط الكلام على هذا الموضوع في الجزء الاخير من مجلتهِ فرأينا ان نترجمهُ هنا ونبقي حجتهُ على روايتها ثم نعقب عليهِ بما يبدو لنا لاننا مخالفون لهُ في رأيهِ . قال :

ان اغتيال ملك السرب وزوجتهِ في بلغراد في الحادي عشر من شهر يونيو الماضي انبأت بهِ امرأة في مدينة لندن في العشرين من شهر مارس هذه السنة فوصفت تلك الفاجعة الدموية امام خمسة عشر شاهداً وأُبلغ الخبر في اليوم التالي الى سفير السرب في انكلترا فبحث في الرابع والعشرين من الشهر عن صحة ما بُلّغ اليهِ وكتب في يوميتهِ حينئذٍ ما سمعهُ من احد الشهود عن وصف ما جرى وكتب بعد اربعة ايام كتاباً خصوصيًّا الى الملك اسكندر حذَّرهُ فيهِ من المتآمرين على قتلهِ داخل جدران قصرهِ فلم يعبأ الملك بتحذيرهِ وفي الحادي عشر من شهر يونيو قُتل الملك والملكة كما وصفت العرَّافة مع اختلاف طفيف في العرَض لا في الجوهر .

وقد اختلف الشهود في ما يتذكرونهُ من قولها فقال بعضهم انها أنبأَت بقتل الملكة ايضاً وقال غيرهم انها انبأت بنجاتها وفي ما عدا ذلك اتفقوا كلهم في كل الامور

وقد تردَّدتُ كثيرًا في اختيار الطريقة التي ابسط بها الكلام على ما حدث ورأَيت اخيرًا ان اتَّبع الطريقة التي يتَّبعها قضاة التحقيق في تحقيق الجنايات فاثبت اولاً انهُ حدثت نبوءة عن اغتيال ملك السرب وزوجتهِ منذ شهر مارس الماضي وبُلّغتْ الى سفير السرب في لندن والسفير بلَّغها الى ملك السرب ثم جمع شهادة الشهود الذين سمعوا تلك النبوءة ورأَوا المرأَة التي انبأَت بها وهي في حال الانباء

وسفير السرب في انكلترا المسيو شدومل مجاتوفتش رجل مشهور بل هو اشهر رجل سياسي قام في بلاد البلقان وهو ايضاً عالم ومؤرخ ومن زعماء الديانة المعدودين ولهُ يد في انشاء الجريدة الدينيَّة التي تطبع في بلغراد لاجل تنوير ابناء الكنيسة الارثوذكسية وقد ترجم الى لغة البلغار كتاب سياحة المسيحي وتفسير الدكتور برون للاناجيل وكثيرًا من مواعظ لدن وسبرجن وكان وزيرًا للداخلية في بلادهِ منذ سنة ١٨٧٦ وعضواً من اعضاء مجلس الشيوخ السربي وأُرسل سفيرًا الى الاستانة قبل مجيئهِ سفيرًا الى لندن . ولما التأم مؤتمر السلم في هولندا كان نائباً فيهِ عن بلادهِ وكان لهُ الشأن الاكبر بين النواب ولو كانوا نوَّاباً عن اعظم الممالك. ولهُ مؤلفات تاريخيَّة كثيرة تدل على دقة بحث وسعة روية . وزوجتهُ انكليزيَّة وهي مؤلفة ايضاً ومؤلفاتها جعلت السرب والسربيين معروفين في اوربا . وهو معروف في كل عواصم اوربا وكل الذين يعرفونهُ يجلّونهُ ويكرمونهُ . وهاك ما شهد بهِ هذا الرجل الفاضل وهو بنصهِ (بعد حذف اسماء الاماكن) "انا شدومل مجاتوفتش اشهد هذه الشهادة التي اعتقد انها تامَّة مطابقة للواقع ، لقد اهتممت بالمباحث النفسيَّة منذ عهد طويل وهذا جعلني اتعرف بالمستر ستد محرر جريدة البوردرلند ومجلة المجلات ولكونهِ يعلم رغبتي في هذه المباحث دعاني لاجتماع في مكتبهِ يوم الجمعة في ٢٠ مارس سنة ١٩٠٣ حيث تمتحن امرأة عرَّافة (سيكومترست اي تستدلُّ باشياء تلمسها على ما يتعلَّق بها من الامور الماضية او المستقبلة) وهذا بعض كتاب الدعوة الذي ارسلهُ اليَّ المستر ستد حينئذٍ

"سيكون عندنا عرَّافة صالحة يوم الجمعة التالي في موبرلي هَوْس وقد تعهدتْ ان تمتحن عرافتها امامنا اثنتي عشرة مرة الى عشرين اي تُعرَضُ عليها مواد لا تعرف شيئاً من امرها فتخبرنا عما تراهُ ممَّا يتعلق بها فارجو ان تحضر وتجلب معك شيئاً او شيئين ممَّا اذا رأَتهُ العرَّافة وانبأَت عمَّا يتعلق بهِ كان لكلامها وقع فيحسن ان تحضر معك مثلاً قطعة صغيرة من الجبة التي تكلم

عنها المستر ل — وقال انها عندك الآن وانهُ يسمح لي بها لهذا الغرض او شيئاً آخر تشرَّب من انفاس الملك ميلان او الملكة دراجا لعلنا نقف على شيء يتعلق بهما "

"فقبلتُ الدعوة وذهبتُ فوجدت المكان مزدحماً بالمدعوين ورأَيت المرأَة وأُخبرت ان اسمها مسز برتشل وقد تشكَّت من ان الاحوال غير مناسبة لاظهار قوتها

"ومن الاشياء التي أُخذت الى هناك لتراها العرَّافة امضاء الملك اسكندر بالحروف السربية على ورقة وضعت في ظرف اتيت بهِ لنرى هل تعرف ما هو من لمس الظرف بيدها وتستطيع وصف الملك هذا كل ما قُصِد ولم نكن ننتظر اكثر منهُ

" وعُرض على العرَّافة اشياء كثيرة ثم توقفت عن التجارب بغتة فلم يعرض عليها الظرف الذي فيهِ امضاء الملك اسكندر وانا هناك ثم خرجتُ وتركتُ الظرف مع واحد من الحضور وهو المستر ل — . الذي بقي هناك ليتعشى مع المستر ستد ومسز برتشل وآخرين ولم استطع انا ان ابقى واتعشى معهم لاني كنتُ مضطرًّا ان اذهب تلك الليلة الى قصر بكنهام ورجعت الى بيتي وانا احسب ان العرَّافة فشلت فشلاً تامًّا

"وفي اليوم التالي وهو الحادي والعشرون من شهر مارس زارني المستر ل — . وقال لي انهم امتحنوا العرَّافة بعد العشاء وانهُ اعطاها الظرف الذي فيهِ امضاء الملك فاصابها انفعال شديد ووصفت اغتيال الملك ومحاولة اغتيال الملكة داخل القصر وفصَّل لي تفاصيل اخرى تدلُّ على ان مسز برتشل رأَت اغتيال ملكي وهو داخل قصرهِ . و يوم الثلاثاء التالي في الرابع والعشرين من شهر مارس زرت المستر ستد في مكتبهِ واخبرتهُ بما اخبرني بهِ المستر ل — . وسأَلتهُ عما اذا كان ذلك صحيحاً ولما عدت كتبت في يوميتي ما خلاصتهُ

"لندن في ٢٤ مارس سنة ١٩٠٣ ذهبتُ اليوم بعد الظهر الى موبرلي هَوْس لارى المستر وليم ستد (محرر مجلة المجلات) ولأَسأَلهُ عما قالتهُ العرَّافة يوم الجمعة الماضي (٢٠ مارس) عن الملك اسكندر فقال لي ان المستر ل — . وضع في يدها ورقة صغيرة فمسكتها دقيقة ثم قالت هذا امضاء شاب في مقام عالٍ جدًّا نعم هذا امضاء ملك (ثم وصفت شكل الملك اسكندر) وقالت ان ملكتهُ بجانبهِ وهي سمراء واكبر منهُ ولكن يا الهي ماذا ارى اواه وا مصيبتاه ثم ركعت على ركبتيها وشبكت يداً بيد ورفعت رأسها وهي مغمضة عينيها وصلَّت الى الروح العظيم لكي ينجيهما ان امكن وقالت اني اراهما كليهما الملك والملكة وهناك رجل اسمر وبيدهِ خنجر يحاول قتلها ابتدأ الصراع نجت الملكة اما الملك فقتل . وقد بلغ اضطرابها مبلغاً شديداً ووصفت ما رأَتهُ على مسمع كثيرين من النساء والرجال فتأَثروا من وصفها شديداً

"وبعد اربعة ايام اي في ٢٨ مارس كتبتُ كتاباً الى الملك اسكندر ورأيت انهُ يجب عليَّ ان احذرهُ من الخطر المحدق بهِ . ولم احفظ نسخةً من كتابي ولكنني اتذكر جيداً الفقرة التي حذرتهُ فيها ولم يزل عندي وصل مكتب البريد لانني ارسلت الكتاب مسجلاً (مسوكراً.) اما الفقرة المشار اليها فقلت لهُ فيها اني اعلم ان جلالتكم تضحكون كما كنتم تضحكون دائماً حينما اكلمكم عن التنويم (كلارڤوننس) ولذلك لا اقص عليكم كل ما علمتهُ اخيراً من هذا القبيل ولكنني اتوسَّل الى جلالتكم ان تتخذوا كل الوسائل لسلامتكم وانتم راكبون او ذاهبون الى الكنيسة او المشهد وكذلك وانتم في قصركم لا سيما واني واثق ان البعض يتآمرون على اغتيالكم فيهِ

وقرات زوجتي هذا الكتاب قبلما ارسلتهُ وهي تؤكد الآن انهُ كان مكتوباً كذلك . وكنت قد تكلمت مراراً مع الملك اسكندر عن هذه المظاهر النفسيَّة فكان يهزأُ بها ولا يحسب لها حساباً ولم احذرهُ قبل ذلك قط لكنني تأثرت من كلام هذه العرَّافة جدًّا حتى ظننت ان الملك يدعوني اليهِ الى بلغراد رغماً عن انكارهِ صحة العرافة لكي يسمع مني تفاصيل ما حدث ولكن لم يتحقق ظني فلم يستدعني ولا اكترث لتحذيري . ولما وردت اخبار اغتيالهِ تذكرتُ حالاً تحذيري لهُ واخبرت بعض رجال الصحافة بذلك فنشرتهُ جرائد المساء في ١١ يونيو"

وما تقدَّم كافٍ وحدهُ لاثبات ما اردت اثباتهُ اولاً وهو ان عرَّافة انبأَت بهذهِ الفاجعة قبل حدوثها وان سفير السرب ارسل يحذر مولاهُ من ذلك بكتاب مسجل في شهر مارس الماضي . ولنأتِ الآن الى اثبات امور اخرى متعلقة بذلك وهي كيف صار هذا الانباء ومتى واين وايضاحاً لذلك اقول

اني دعوتُ اناساً كثيرين وفي جملتهم السفير مجاتوڤتش وارل غراي والمستر ل — . والمستر غلبرت اليوت وغيرهم لكي يأتوا يوم الجمعة في ٢٠ مارس ويشاهدوا بعض اعمال العرافة التي وعدتْ مسز برتشل ان تقوم بها في الاجتماع الاهلي الذي يعقد عندي مرةً كل اسبوع (At Home) في موبري هَوْس وابتدأَ الاجتماع الساعة الرابعة بعد الظهر وحضرهُ سبعون او ثمانون شخصاً وظهر بعد نصف ساعة ان الاحوال غير موافقة لمسز برتشل فصعدت الى الطبقة العليا من البيت وجرَّبت قوتها امام بعض الحضور فنجحت اكثر مما نجحتْ امام الجمهور وبقي الجمهور تحتُ وهم يتذاكرون فى موضوع العرَّافة (سيكومتري) الى ما بعد الساعة السابعة وفي نحو الساعة الثامنة ذهبنا الى مطعم غتي وروديسانو وكنا ١٦ نفساً (وهنا ذكر اسماءهم وعنواناتهم الاَّ الشخص الذي سماهُ مسترل — . فابقاهُ كذلك نكرة لا تعرف لكنهُ قال

ان عنده اسمهُ وعنوانهُ وهو يفضل ان لا يشهر اسمهُ الآن)

وبقينا كلنا معاً ما عدا مستر مني الى ما بعد انباء مسز برتشل باغتيال ملك السرب وقد انبأت بهِ بعد الساعة العاشرة وكان قد مضى علينا مجتمعين ست ساعات وقد تعبنا ومللنا ولم نكن ننتظر منها شيئاً غير عادي . ولا استعددنا لكتابة شيء مما نسمعهُ ولا اظن ان احداً كتب شيئاً

وكان حديثنا على الطعام في مواضيع عمومية وكان المستر ل — . حاضراً فتكلمت أنا عنهُ وعن السرب ولكن لم يُذكر اسم الملك على ما اتذكر الآن ولا ذُكر ما يشير الى اغتيالهِ لا صريحاً ولا تلميحاً . اما مسز برتشل فامرأة بسيطة تصنع بعض الادوية وتبيعها ولها عشرة اولاد ويظهر لي انها لا تهتم بأمر بلاد البلقان ولا تعرف عنها شيئاً . وقد كتبتْ بعد ذلك في جريدة سنت جمس تقول انها لم تكن حينئذٍ تعرف شيئاً من امر السرب ولا تعرفُ اسم الملك ولا اسم الملكة ولا شيئاً من ماضي الملكة ولا مما لهُ علاقة بها وبزوجها وكانت وقت العشاء صامتة وعلى وجهها دلائل التعب والفشل لانها لم تفلح ولذلك لم اوجه حديثي اليها

وبعد العشاء اخذت تصف لكل واحد من الحضور ما كانت تشعر بهِ حينما كان يسلمها شيئاً مما معهُ ولما وصل الدور الى المستر ل — . جعل يشير اليها برأسهِ وهي تكلمهُ كأنهُ يصادق على كلامها فانكر سكرتيري عليهِ ذلك لكن لم يكن لكلامها حينئذٍ علاقة بالانباء عن اغتيال الملك ولما تكلمت عن اغتيالهِ كانت مغمضة العينين ولم اعلم هل كانت تصف فاجعة حدثت في الزمن الماضي او فاجعة ستحدث ولم اعرف ما كان في الظرف الاَّ بعد ما اكملت وصفها . ثم لما فُتح لم استطع ان اقرأ ما فيهِ لانني لا اعرف الكتابة السربية فسألت المستر ل — . عنها فقال انها امضاء الملك ثم جعل يتحدث معها

وكان هناك سيدتان من العرَّافات (كلرفُوينت) فقالتا انهما رأتا المنظر الذي رأتهُ مسز برتشل حينما كانت تصفهُ وقالت احداهما ان الجنود كانت لابسة اللباس الرومي

وذهبت مسز برتشل حالاً وبقي البعض ساعة اخرى ولما كنت راجعاً الى بيتي نحو نصف الليل التقيت بصحافي من اصدقائي اسمهُ ارثر هوكس واخبرتهُ بما حدث تلك الليلة وقد كتب بعد ذلك يقول " قرأتُ عن اغتيال ملك السرب والملكة حين وصولي الى مديرا من بلاد الراس في ٢٢ يونيو ورأيت في الدايلي تلغراف خبر الانباء بهذا المنكر في ٢٠ مارس بعدما تعشى البعض بدعوة المستر ستد وللحال اخبرتُ المستر ريد من اهالي يوهنسبرج الذي وجه التفاتي الى تلك الفقرة انني كنت حاضراً عند المستر ستد ذلك اليوم في مكتبهِ ولم يمكني البقاء

الى العشاء ولكنني التقيت بهِ نحو نصف الليل وركبت معهُ فاخبرني ان سيدة عرّافة انبأتهم باغتيال الملك اسكندر والملكة دراجا فضحكت حينئذٍ لانني لا اصدق هذه الامور وقلت ان كل احد يمكنهُ ان ينبيء باغتيال ملك ولكن الانباء باغتيال ملك وملكة معاً امرٌ يفوق التصديق . وقد كتبت ذلك الآن تزكية للشهادات الكثيرة التي وردت عن الانباء بهذه الفاجعة قبل حدوثها"

ويظهر من هذه الشهادة انني كنت متأكداً حينئذٍ ان مسز برتشل انبأَت بقتل الملك والملكة معاً

شهادة المستر ل — .

سئل المستر ل — . ان يصف ماحدث وقت العشاء وبعدهُ فقال انهُ كان حاضراً لمَّا اعطي الظرف الذي فيهِ امضاء الملك لمسز برتشل وانهُ سمع وصفها لاغتيال الملك والملكة في القصر وابلغ خبر ذلك في الصباح الى المسيو مجاتوفتش وانهُ كان قد فتح الظرف وهو على العشاء وارى الامضاء لسكرتير المستر ستد وكان جالساً بجانبهِ بعيداً من مسز برتشل وهي لما أعطيت الظرف لم تخرج الورقة منهُ وبعد ان أنبأَت بما أنبأَت أُخرجت الورقة من الظرف وسئل أن يقرأ ما فيها وهي ورقة سادجة ليس عليها علامة التاج ولا شيء آخر ولم يكن أحد من الحضور قد رآها غيرهُ هو وسكرتير المستر ستد . وكان وصف الملك والملكة كما وصفتهما مسز برتشل تماماً وكذلك ملابس الجنود السربيَّة تشبهُ ملابس الجنود الروسية . ولما أَتمت مسز برتشل عملها اخذ يتكلم معها فقالت لهُ انهُ لا بدَّ من الاغتيال كما رأَت ما لم تُبذَل الوسائل الفعالة لمنع ذلك. ولم تذكر اسم الملك ولا اسم الملكة

واتفق الشهود كلهم على ما تقدَّم الاَّ اثنين الاول سكرتير المستر ستد فانهُ قال انهُ لايتذكر ان مسز برتشل جثت على ركبتيها مطلقاً ولا يتذكر شيئاً ممَّا حدث حتى يظن انهُ لم يكن في الغرفة حينئذٍ . والثاني المستر مكدونلد فهذا كتب في جريدة وستمنستر ان مسز برتشل قالت لماتناولت الظرف "ملكيٌ" وقالت اقوالاً تنطبق على فاجعة السرب اذا أُريد تطبيقها عليها وفسَّر ذلك بقولهِ انها تعلم علاقة المستر ل — . بعائلة ملك السرب . اما الباقون فسئلوا كلهم عمَّا يذكرون وكُتبت خلاصة اقوالهم وعُرضت عليهم فامضوا على صحتها وهي :

وضع المستر ل — . ظرفاً في يد المستر ستد بعد الساعة العاشرة وقال لهُ امتحنها بهذا فاخذ المستر ستد الظرف وهو لا يعلم ما فيهِ وانتظر الى ان اتمَّت وصف ما طلبهُ منها الحضور حتى آخرهم وكانت قد تعبت وودت ان ترجع الى بيتها فوضع الظرف في يدها وطلب منها ان تجرِّب مرة اخرى لعلها تجد فيهِ شيئاً فمسكتهُ بيديها وجلست وبقيت دقيقة ساكتة وقلَّبت الظرف في

يدها مرة او مرتين ثم قالت بصوت عالٍ واضحٍ "ملكيٌّ شخص مهم — ملك" ولما قالت ذلك اتجهت الانظار اليها فاصغينا لنسمع ما تقولهُ وجعلت تتكلم بسرعة من غير ان تتنفس لشدة انفعالها ولا دليل على انها كانت في غيبوبة. وكان كلامها عاديًّا قبلما سلمها المستر ستد الظرف وقد اغمضت عينيها لكن ذلك تفعلهُ لكي تجمع افكارها وتكلمت كأنها تنظر من كوَّة الى داخل غرفة وتصف ما تراهُ فيها لاناس واقفين بجانبها . وكان على مقربة منها امرأتان من العرَّافات وهما مسز برتشلي ومسز منكس

وابتدأت بقولها "ملكيٌّ شخص مهم ملك ها هو واقف في غرفة بقصرهِ اسمر اللون بدين الجسم طويل العنق ومعهُ امرأة ملكة سمراء واري هناك (واشارت الى زاوية في الغرفة) ولدًا" ولما قالت ذلك زاد اضطرابها فصرخت "اواهُ ما هذا لا اطيق النظر اليهِ هوذا رجل شديد السمرة هاجم على الغرفة وهو يحاول قتل الملك وقامت الملكة تتوسل اليهِ لكي يعفو عنهُ اواه" وصرخت صرخة شديدة وارتمت على ركبتيها حتى ظن المستر ستد انها وقعت على الارض ومدَّ اليها يديهِ لكي ينهضها لكنها لم تقع بل شبكت يديها وبقيت تتكلم بصوت التفجُّع قائلة "ها هم يقتلونهُ خلِّصوهُ خلِّصوهُ جثت الملكة على ركبتيها تتوسَّل اليهم لكي لا يقتلوها وهم لا يسمعون لها. ما اشد الاضطراب وما اكثر اهراق الدماء . قتلوهُ وذهب توسلها عبثًا والآن طرحوها على جانبها وطعنوها بخنجر آه آهِ"

ولما قالت ذلك خارت قواها وكادت تنقلب على احد جانبيها لكن المستر ستد انهضها واجلسها مكانها

ولما جثت على ركبتيها نهضت مسز برنتشلي وقالت نعم نعم اني اراهم يقتلونهُ . وتلتها مسز منكس وقالت وانا ايضًا وصارت كلما قالت مسز برتشل شيئًا تقول مسز منكس نعم نعم

ووقع الظرف من يد مسز برتشل لما زاد اضطرابها فتناولتهُ مسز برنتشلي وجعلت تصف الفاجعة وصفًا اقل وضوحًا من وصف مسز برتشل لها ثم قالت انظروا كيف اشتدَّت الظلمة انظروا الجنود آتين علينا وهم يطلقون الرصاص على كل من يلاقونهُ في طريقهم

فسألها احد الحضور مَن يشبهون . فقالت يشبهون في ملابسهم الجنود الروسيَّة ولكن اشتدت الظلمة فلم اعد ارى جليًّا (ان مسز برنتشلي زارت روسيا في العام الماضي) ثم قالت مات الملك الآن وما اشد الاضطراب وما اكثر سفك الدماء . قالت كل ذلك بسرعة بينما كان المستر ستد يساعد مسز برتشل على النهوض والجلوس في مكانها فلم يُنتَبه الى قولها كثيرًا حينئذٍ ولكنها تقول الآن انها لا تزال تتذكر جيدًا ما رأتهُ وما قالتهُ

والتفت المستر ستد الى المستر ل — . الذي اعطاهُ الظرف كانهُ يسألهُ عمَّا فيهِ لاننا كنا كلنا سمعنا مسز برتشل تصف اغتيال ملك وملكة ولكن لم نكن نعلم اي ملك واية ملكة وقال لهُ ما يحوي هذا الظرف . فقال المستر ل — . انظر وفتح الظرف واخرج منهُ ورقة بيضاء عليها امضاء اسكندر وقال الملك

فقال المستر ستد وهل وصفها صحيح

فقال المستر ل — . حرفيًّا . كل ما وصفت بهِ القصر والملك والملكة على تمام الصحَّة

وكانت مسز برتشل قد عادت الى نفسها فقالت للمستر ل . ان كل ما رأيتهُ سيتم حرفيًّا اذا لم تتخذ الوسائل اللازمة لمنعهِ قريباً

وقد عُرضت مسودَّة هذا التفصيل على الذين كانوا حاضرين فامضوا كلهم على صحة ما فيها الَّا سكرتير المستر ستد الذي قال انهُ لا يتذكَّر شيئًا من ذلك والمستر مكدونلد الذي فسَّر اولاً ما حدث ثم انكرهُ

ووعد المستر ستد في ختام هذه المقالة ان يتبعها بمقالة اخرى يذكر فيها بحث جمعية المباحث النفسيَّة في هذه الحادثة

هذا ونحن نعرف المستر ستد ونعترف لهُ بالفضل والنبل ولكننا لا نبرئهُ من الميل الى تصديق الخرافات التي من هذا القبيل . ولا نقول ان احدًا من الحضور حاول الخداع عمدًا ولكن ذلك لا ينفي ان يكون المستر ل — . خدع مسز برتشل عن غير قصد وهو لا يدري فان محاولة قتل ملك السرب وزوجتهِ كانت منويَّة كما ثبت من شواهد كثيرة ولا يبعد ان يكون ذلك قد بلغ المستر ل وانهُ اطلع مسز برتشل عليهِ من حيث لا يدري لان من الناس من يفعل فعلاً واذا قلت لهُ فيهِ انكرهُ كل الانكار وهو غير كاذب في انكارهِ اما لانهُ ينسى حالاً ما فعلهُ او لانهُ فعلهُ وهو في حالة من التعقُّل غير حالتهِ العادية . وكذلك مسز برتشل يحتمل ان تكون قد سمعت كثيرًا عن وصف ملك السرب وزوجتهِ وقصرهِ والمكايد التي تكاد لهُ وهي في حالة من التعقل غير حالتها العادية ثم عادت الى هذه الحالة لما اصابتها النوبة العصبيَّة التي وصفت فيها ما وصفت . اما الخداع فنستبعدهُ عنها وعن المستر ل — . ولكننا لا ننفيهِ نفيًا باتًّا لان كثيرين من مدعي العرافة اعترفوا قبل موتهم انهم كانوا يخدعون الناس خداعًا . ومن المحتمل ايضًا ان سكرتير المستر ستد مشارك لها في الخداع وقد لجأَ الى الانكار التام ابعادًا للشبهة لكن هذا الاحتمال بعيد ولا يسوغ لنا ترجيحهُ ما دمنا نجهل من هو الرجل ونجهل اخلاقهُ . وما دامت مسز برتشل ماهرة الى هذا الحد في رؤية الغيب او ما يأتي بهِ

الغد فلماذا لا تستعمل مهارتها في ما يكسبها الثروة بدلاً من عمل الادوية ويفيد بلادها فوائد سياسيَّة لا تقدَّر بمال . على مَ لم يستعن بها المسترستد على معرفة ما آلت اليهِ حرب الترنسفال وما تأول اليهِ الاحوال السياسيَّة في بلاد الصين والعلاقات الدولية بين انكلترا وروسيا والحرب الدموية في الصومال والقلاقل المتوالية في ارلندا والمناظرات التجارية بين انكلترا واميركا والمانيا ونحو ذلك ممَّا يدفع الناس الوف الجنيهات لمعرفة عشر معشارهِ

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الفصل الرابع

الامراض العمومية

القلب

ان ما تستطيعهُ الممرضة في امراض القلب قليل جدًّا وغاية ما تقدر عليهِ انها تسهر على المريض وتراقبهُ وتطعمهُ وتعتني براحتهِ . وهذا يصدق فقط على الذين يضطرهم مرض قلبهم الى الاقامة في السرير لان كثيرين يصابون بمرض في القلب وهم لا يقيمون في السرير بل يتعاطون اعمالهم ويعيشون سنين كثيرة

وامراض القلب مختلفة والتمييز بينها من عمل الطبيب اما الممرضة فعملها ان تجعل المريض يستريح في سريرهِ . وهناك نوعان من امراض القلب الواحد يستدعي ان يستريح المصاب بهِ راحة تامة مستلقيًا على ظهرهِ والثاني يستدعي من يبقى جالسًا في سريرهِ ويسند بالمساند والوسائد حتى يسهل عليهِ التنفس . وتعلم الممرضة ذلك من رؤيتها المريض فاذا رأتهُ ينهض رأسهُ ويحاول الجلوس حينما يريد التنفس فهو في حاجة الى ان يسند بالمساند والوسائد واذا رأتهُ يفضل ان يستلقي ويخفض رأسهُ وجب ان تبقيهُ مستلقيًا . اي عليها ان تجاريهُ على مرادهِ ولا تجادلهُ ولا تزعجهُ لان المصابين بامراض القلب يكونون سريعي الانفعال لشدة ما يقاسونهُ من الالم ولصعوبة التنفُّس عليهم فيجب على الممرضة ان تكون صبورة وتعاملهم باللين وتسلم لهم بكل ما لا ضرر منهُ

وهناك امران يجب الانتباه اليهما في امراض القلب الواحد تدفئة المريض والآخر جعلهُ يتنفس الهواء النقي . فاذا اريد تدفئة قدميهِ تملأُ زجاجة عادية ماء سخناً وتسد سدًّا محكمًا وتوضع بين قدميهِ ومتى دفئت القدمان دفئ الجسم كلهُ . واذا كان المريض يحاول التنفس فيستصعبهُ او يزرقُّ وجههُ فليوضع بحيث يصيبهُ الهواء النقي وليسقَ قليلاً من العرق الممزوج بالماء السخن وليكن طعامهُ خفيفاً مغذياً. ولهُ ان يأكل ما شاء من الطعام اذا كان يستطيع هضمهُ ولكنهُ اذا ملأَ بطنهُ من الطعام وساء هضمهُ آل ذلك الى تعب قلبهِ حتماً

واذا تورَّمت قدماهُ وجب ان يخبر الطبيب حالاً ويجب حينئذٍ منع المريض من المشي ومن الجلوس في سريرهِ

الكبد

ان البرد الشديد والحر الشديد والاشربة الروحية كل ذلك يضر الكبد . فعلى من كان معرضاً لداء الكبد ان يتجنب البرد والحر والمسكرات . ولكن من ادواء الكبد ما لا يمكن منعهُ كحصاة الكبد وخراجهِ وسرطانهِ . ويمكن وضع اللزق والفلانلا المسخنة على مكان الالم . والكبد على الجانب الايمن وهي تبتدئ حيث تنتهي الرئتان اي عند منتهى الاضلاع واذا كانت الممرضة تجهل موضع عضوٍ من الاعضاء لكي تضع عليهِ لزقة اوحرَّاقة او ما اشبه فلتسأَل المريض عن المكان الذي يشعر ان الالم فيهِ وتضع العلاج عليهِ

خرَّاج الكبد

تقدَّم ان الصديد يتكون غالبًا بعد التهاب الرئتين وتدعو الحال الى عمليَّة جراحيَّة . ويحدث مثل ذلك في الكبد فتلتهب وتشتد الحرارة ويتبع ذلك تولد خرَّاج . ولا بدَّ من شق هذا الخراج ووضع انبوب فيهِ ينزح بهِ الصديد ويوضع الغيار المضاد للفساد و يربط برباط عريض يمكَّن بدبابيس موقية كما يفعل في عمليَّة الرئة . والفرق الوحيد هو ان الرئتين تمتدان من اعلى الصدر الى آخر الاضلاع والكبد تبتدئ من آخر الاضلاع وتمتد حسب ما فيها من الالتهاب

اليرقان

اليرقان حادث عن خلل في الحوصلة المرارية فيصفر فيهِ الجلد والعينان والبول والعرق وتختلف صفرتها من لون الزعفران الى الاسود المسمر . والاسباب مختلفة ويجب ترك البحث عنها الى الطبيب الذي يشخص العلة و يصف لها العلاج . واذا تألَّم المصاب فلتوضع لهُ لزقة على كبدهِ فيخف المهُ ولو الى حين . ومما يفيدهُ ايضاً الحمامات السخنة فانها تريحهُ

وتصلح لون جلده وتمنع التهابهُ وتكوُّن الطفح عليهِ

وطعام المصاب باليرقان يجب ان يكون سائلاً وقليلاً. واليرقان العادي يدوم من عشرة ايام الى اربعة اسابيع ولكنهُ قد يبقى عدة اشهر

الاستسقاء

يحدث الاستسقاء بسبب خلل في الكبد او غيرهِ من الاعضاء ويمكن اعتبارهُ عَرَضاً لا مَرضاً ولكنهُ من نتائج آفات الكبد ولذلك استطردت الكلام اليهِ هنا. فان البطن يمتلئ ماء بسبب مرضي فيتعب منهُ المريض تعباً كثيراً. ويزول هذا الماء احياناً بالقيام في الفراش والوسائل العلاجيَّة ولكن تدعو الحال في احوال اخرى الى بزل البطن واستخراج السائل منهُ فيزول تعب التنفس

ولا بدَّ قبل اجراء هذه العملية من استحضار اناء كبير وانائين اصغر منهُ حتى يملأ احدهما بالسائل الخارج من البزل ثم يوضع الثاني مكانهُ بينما يفرَّغ الاول في الاناء الكبير ويضع بعض الاطباء مبزلاً في الثقب ويتركونهُ حتى يخرج السائل منهُ ويجب ان يوضع مشمَّع تحت المريض وتوضع تحتهُ ملاءة مطويَّة اربع طيَّات والاَّ تبلَّل فراشهُ من السائل

واحسن وضع للمصاب بالاستسقاء ان يسند بالمساند ويوضع مسند تحت قدميهِ حتى لا يزحل عن سريرهِ بسبب ثقلهِ ويتعسر اليهِ النهوض. واذا زحل تعذَّر على الممرضة وحدها ارجاعهُ الى وضعهِ الاول فيجب ان تساعدها ممرضة اخرى او شخص آخر ويضع كل منهما ذراعيهِ تحت ذراعي المريض ويرفعانهِ ويقف احدهما على جانب من جانبي سريرهِ

ولا بدَّ من تدفئة المصاب بالاستسقاء ويحترس من ان يصاب بقروح الفراش في اليتهِ وكعبيهِ لان الاستسقاء يمتد الى قدَميهِ ايضاً واذا نطَّلت رجليهِ بماء سخن شعر براحة كثيرة. ويجب ان يكون طعامهُ سائلاً ومغذياً لان ملء المعدة بالطعام الكثير يزيد تعبهُ

الكليتان

قلت ان الاستسقاء من اعراض امراض الكبد. وهو ايضاً من اعراض امراض الكليتين ووظيفة الكليتين افراز البول فاذا مرضتا ولم تعودا تقومان بوظيفتهما اجتمع البول في البطن والساقين والجسم كلهِ فاذا كان العليل نظيف الجسم يستحمُّ بماء سخن كل يوم فمسام جلدهِ تساعدهُ على افراز البول ولكن اذا كانت المسام مسدودة ساءت حالهُ ما لم يساعدهُ الطبيب بالادوية التي تعرّقهُ وترد الكليتين الى وظيفتهما

وقد يكون مرض الكليتين حادًّا تصحبهُ حمّى ويتلوَّن معهُ البول لوناً قاتماً وتقلُّ كميتهُ.

وقد يكون مزمناً من غير حمّى ويكون لون البول طفيفاً وكميتهُ عادية · والمصابون بالمرض المزمن قد يعيشون عشرين سنة وهؤلاء لا يحتاجون الى شيءٍ من التمريض ولكن يجب ان يتقوا البرد ويعتمدوا على تدبير الطعام وليس كذلك الحوادث الحادَّة حيث تشتد الحرارة ويقل افراز البول ويلزم الاعتناء التام بتدبير الطعام · ويجب حينئذٍ تدفئة المصاب بتدثيرهِ بالاحرمة وتطيل رجليهِ بالماء السخن ويسقى اللبن فقط ثم مرق الفراخ واذا نقه او ازمنت علتهُ يطعم السمك والفراخ ولحم الحملان مع الخضر · ويحسن ان يطعم شوربا الخضر واللبن

الاسهال والدوسنطاريا

قد يحدث الاسهال من سوء الهضم او البرد او سل الامعاء · لذلك يجب معرفة السبب اولاً · وصوّم العليل ودفئهُ واسقهِ كاساً من اللبن السخن كل ساعتين فيشفى من الاسهال سريعاً واذا لم يشفَ فا تستشر الطبيب لان الاسهال اذا أُهمل امرهُ صار مزمناً ولو لم يكن ناتجاً عن مرض

والدوسنطاريا اسهال شديد مؤلم تتقرَّح فيها الامعاءُ ويخرج الدم مع البراز . اسقِ العليل مسهلاً من زيت الخروع واعتنِ بهِ شديداً اكثر مما تعتني بهِ اذا كان مصاباً بالاسهال البسيط واحفظ مبرزاتهِ الى ان يراها الطبيب

الديابيطس او البول السكري

في الديابيطس يستحيل الدم الى سكَّر وتضعف القوة رويداً رويداً . ويشعر العليل بعطش شديد ويكثر بولهُ فيجب ان يكال بول الاربع والعشرين ساعة ويخبر الطبيب عن مقدارهِ · ولا داعي لحفظهِ اربعاً وعشرين ساعة ما لم يطلب الطبيب عينةً منهُ لامتحانها · والصعوبة الكبرى في الديابيطس تدبير طعام العليل لانهُ يمنع عن مآكل كثيرة فيصعب عليهِ وعلى من يمرضهُ اختيار الطعام المناسب لهُ · ولا يمنع عن البيض واللبن والزبدة والجبن والخضر كالاسبانخ والكرنب والهليون والجرجير والخس الخيار والطماطم والزيتون والزيت والخل وانواع المكبوسات · ولكنهُ يمنع عن الفول والبازلا والبطاطس والجزر واللفت والبنجر والرز والتبيوكا والماكروني ويمنع ايضاً عن الخبز ويطعم بدلاً منهُ كسراً محمَّصة او نوعاً خاصاً من الخبز يصنع لمن كان مصاباً بالديابيطس وهو غالي الثمن نوعاً . ويمكنهُ ان يشرب الماءَ والقهوة والشاي وماءَ الصودا والبن والليموناضة ويا كل من الفاكهة البرتقال والليمون الحلو والخوخ والجوز من كل الانواع ما عدا الكستنا (ابو فروة)

الكَلَب

يحدث الكَلَب من عضَّة حيوان مصاب بالكَلَب والغالب ان يكون كلباً ولا بدَّ من ان تكون العضة بالغة تجرح العضو المعضوض والاَّ فلا ضرر منها · ومدة الحضانة من اربعين يوماً الى عدة اشهر ولذلك جرت العادة في بلاد المشرق ان يسهّر المعقور في الليلة الاربعين ويمنع من النوم وهي عادة سيئة لا نفع منها مطلقاً · والكَلَب من افظع الادواء والمصاب بهِ يخاف من الماء خوفاً شديداً ومن كل سائل حتى انهُ يجزع من رؤية الانية التي توضع فيها السوائل فيصيبهُ تشنج ويتكوَّن الزبد على فمهِ ويرتمي ويضرب نفسهُ بما حولهُ فيجب ان يوضع في غرفة خالية من الاثاث ويبسط فيها حصير او بساط ويترك فيها حينما تصيبهُ النوبة لئلاَّ يعض احداً فيعديهُ وحينما تزول النوبة يسكن ويعود اليهِ رشدهُ ولا يعود منهُ ضرر ولكنهُ يعلم ان آخرتهُ دنت · ويموت بعد يومين الى اربعة

والعلاج المستعمل الآن للكَلَب حسب طريقة باستور يمنع الكلب اذا استعمل في وقتهِ ولكن اذا لم يستعمل في وقتهِ وانتشر السم في البدن لم يعد العلاج ينفع شيئاً

مدة الهضم

الجسم يغتذي ممَّا يهضمهُ من الطعام لا ممَّا يأكلهُ منهُ فقد يأكل كثيراً فيتعب معدتهُ ويخسر اموالهُ على غير جدوى كما ابنا في الجزء الماضي في الكلام على ما يلزم من الغذاء · ثم ان الاطعمة المختلفة تختلف كثيراً في الزمن الذي يقتضيهِ هضمها فبعضها سريع الهضم يهضم في ساعة من الزمان وبعضها بطيء الهضم لا يهضم الاَّ في اربع ساعات او اكثر · وقد اتَّصل الباحثون في هذا الموضوع الى وضع الجدول التالي ذكروا فيهِ انواع الاطعمة المختلفة وما يقتضيهِ كلُّ شيءٍ منها من الزمن لهضمهِ · وهي مرتبة هنا حسب حروف الهجاء

	ساعة	دقيقة
الارز	١	··
البنجر المسلوق	٣	٤٥
البيض المسلوق	٣	٣٠
البيض المقلو	٣	٣٠
البيض تامبرشت	٣	··
البطاطس المسلوق	٣	٣٠
البطاطس المقلو	٢	٣٠
التبيوكا	٢	··
التفاح الحامض	٢	··
التفاح الحلو	١	٣٠
الجزر المسلوق	٣	٣٠
الجبن	٣	٣٠

	ساعة	دقيقة
خبز الذرة	٣	١٥
خبز القمح	٣	٣٠
الديك الرومي المحمَّر	٢	٠٠
الزبدة	٣	٣٠
شوربة لحم البقر	٤	٠٠
شوربة الفراخ	٣	٠
الفول الاخضر	٢	٣٠
الفول اليابس	٣	٠٠
الكرنب الاخضر	٢	٠٠
" المسلوق	٤	٣٠
اللبن المغلى	٢	٠٠
اللبن بلا اغلا	٢	١٥
لحم البقر روستو	٣	٠٠
لحم البقر المقلو	٤	٠٠
لحم البط الاهلي	٤	٠٠
لحم البط البري	٤	٣٠
لحم الحمَل المسلوق	٢	٣٠
لحم الضان المسلوق	٣	٠٠
" " روستو	٣	١٥
لحم عجل مسلوق	٤	٠٠
لحم عجل مشوي	٤	٣٠
لحم الوز المقلو	٢	٠٠

ويضاف الى ذلك ان من المواد السهلة الهضم الارُوروط والهليون والقنبيط والبرتقال والعنب والفرولة (كبوش القش) والخوخ (الدراقن) ومن المواد العسرة الهضم الجوز على انواعهِ والكمثرى والبرقوق (الخوخ) والكرز والخيار والقثاء والبصل والمخللات على انواعها والكعك. ومن المواد التي بين بين الخبز والتفاح ومطبوخ الاثمار

خلاصة الاثمار

يؤخذ الثمر الكثير العصارة ويهرث في اناء كبير حتى يصير ربًّا ويوضع على النار حتى يسخن جيدًا ثم يصب في منخل دقيق الشعر ويترك حتى يتصفَّى منهُ فيفرغ في قناني واسعة الفم وتسد جيدًا وتوضع في اناء كبير فيهِ ماء بارد ويوضع على النار ويترك حتى يغلي ثلث ساعة ويرفع الاناء عن النار حينئذٍ ويترك حتى يبرد والقناني فيهِ فما في القناني يستعمل في عمل الشربات ونحوها لان فيهِ طعم الثمر الذي استخرج منهُ

واذا كان الثمر قليل العصارة كالتفاح والكمثرى فيوضع في اناء ويغطَّى بالماء ويغلى حتى ينضج جيدًا فيهرت ويوضع في منخل ويترك حتى يتصفى الماء منهُ من غير عصر ويوضع في قناني ويتم العمل كما تقدَّم . اما ما يبقى في المنخل فلا يصلح لذلك اذا اريد ان تكون الخلاصة شفافة لعمل الشربات اما اذا لم يرد ان تكون شفافة فلا يترك من الثمر الَّا القشر والبزر

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

سؤال

عن الدليل الواضح على وجود الاله تعالى وكيف خلق الخلق

سئلت دليلاً واضحاً علي وجود الاله تعالى كأنهم في شك منهُ او من شدة الظهور كان الخفاء وكيف خلق الخلق أمن ذاتهِ تعالى او من شيء غيرهِ او من عدم وكيف الفنا والاعادة

فان كان الخلق من عدم فمن عدم بالصورة او من عدم بالذات فان كان من عدم بالصورة كالثوب قبل نسجهِ كان معدوماً بالصورة موجوداً بالمادة فمسلم وان كان من عدم بالذات فما هو العدم واين محلهُ ام خلقوا من غير شيء وكيف يتحصل من العدم شيء وهو لا شيء

وان كان الخلق من شيء غير ذاتهِ تعالى فما هو ذلك الشيء وهل هو حادث او قديم فان كان حادثاً فمن اي شيء حدث وان كان قديماً فهل تعدد القدماء وتساوت القدرة وتم الوفاق كلاّ لو كان فيهما آلهة الاّ الله لفسدتا

وان كان الخلق من ذاتهِ تعالى فهل امتدت منها وفيها صور الخلق طوراً بعد طور وهل هي كلها او بعضها فان كانت كلها فكيف يتساوى الحادث بالقديم وهل كل فرد منها مسيطر على نفسهِ وان كانت بعضها فاين محلها منهُ وهل هناك حلول او لا غيرية فلا حلول اذ الشيء لا يحل في نفسهِ فيكون قديماً بالذات حادثاً بالصورة وهو تعالى مهيمن عليها بعضهُ على بعض

وهل تجلّى تعالى بنفسهِ لنفسهِ فظهر من عالم الملكوت وهو الباطن الروحاني وهو الوجود المطلق وهو مرتبة الحق باعتبار الذات الى الصورة منهُ وهي مرتبة الارواح ثم الى عالم الملك وهو الظاهر الجسماني وهو مراتب اشباح الخلق كما ظهرت بالروح بشرية الحية من باطن العصا ثم عادت العصا من باطن الحية الى سيرتها الاولى وكل منهما عين الاخرى للدلالة على البدء

والاعادة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات

وهل هو تعالى لا يزال واحداً بالذات وان تعدد بالصور فهي منهُ وترجع اليهِ كالثلج في الماء فهو منفصل منهُ بالصورة غير مباين لهُ متصل معهُ بالذات غير ملتحم فيهِ فهو منهُ بالتكوين واليهِ يرجع بالتحليل فهو تعالى المكان والكائن وهو الدهر وهو الأَول والآخر والظاهر والباطن

وهل مراتب الخلق وان انفصلت بالصورة فهي متصلة بالذات وعاملة بها كالمركبة الكهربائية بالنسبة لمجرى تيارها الكهربائي فهي متحركة ومشرقة بهِ فلا انفصال يقطع المدد ولا اتصال يمنع الحركة كذلك الانسان مع ربهِ ابصر بهِ واسمع ما لهم من دونهِ من ولي ولا يشرك في حكمهِ احداً

وهل الدليل القائم على وجود التيار الكهربائي بفعلهِ من الحركة والاشراق وان لم نبصرهُ يصلح دليلاً على وجود الاله تعالى وخلقهِ الخلق وتدبير شؤُونهم وان لم تدركهُ الابصار دون البصائر اذ لا سبيل الى وجود مصنوع من غير صانع والمصنوع لا شك موجود فلا سبيل الى انكار الصانع فهو المحمود في مرتبة الحق وهو الحامد في مراتب الخلق

وهل الدليل القائم على وجود الصانع الحادث وتعددهِ وترقي صنعتهِ في التحسين بترقيهِ في العلم وتنازعهِ بالكثرة كالنجار والنجارة والحداد والحدادة يصلح دليلاً على وجود الصانع القديم ووحدتهِ وكمال علمهِ وقدرتهِ وظهور صنعتهِ كاملة على أَبدع اتقان كالارض ومعادنها والسموات وكواكبها والماء والهواء والنبات والحيوان ولو كان حادثاً لتعدد وكان ناقصاً في العلم والقدرة وظهرت صنعتهُ غير كاملة وترقت في التحسين بترقيهِ في العلم وتنازعهِ بالكثرة وما دامت على حال واحدة من كمال التنظيم فصانعها قديم بلا ابتداء وفرد واحد وكامل وباقٍ بلا فناء وقائم على تدبيرها بعلم واختيار يمنع الحركة القسريَّة لامتناع تماثلها في افرادها صنع الله الذي أَتقن كل شيء وهو اقرب اليهِ من حبل الوريد

وطلب ان يكون الدليل على ذلك وجيزاً في المبنى غزيراً في المعنى لا تقليد فيهِ ولا شطط يقنع بهِ من الناس الوسط فيكون بديهاً عند الاعلى وقريباً من فهم الادنى يقبلهُ العقل ويساعد عليهِ النقل

واني لاطرحهُ بالجرائد والمجلات العلميَّة لعل بصيراً من العلماء يتفضل بالاجابة فتظهر بالدليل الصحيح والقول الرجيح فيثبت الحق ويرتفع الشك والسلام المعتمد على ربهِ

منصور الشريف

المدارس السورية الانكليزية

اطلعت على المقالة المدرجة في العدد السادس من المقتطف الاغر بامضاء "تاجر" انتقد فيها ما كتبتهُ عن المدارس المذكورة وطلب ايضاح بعض الامور التي يرغب في ازالة اثرها من نفسهِ فارجوكم نشر هذه الكلمات اجابةً لسؤلهِ وان لم يكن فيها زيادة فائدة للقراء

ان حضرتهُ قد حصَّل من قراءة المقالة ما لم يحصِّلهُ سواهُ وفاتهُ ما لم يفُت غيرهُ اما ما حصَّلهُ وحدهُ فهو ان الامضاء س . خ . امضاء كاتبة وانها تعلَّمت في المدارس المشار اليها مع ان آداب الكتابة تقضي بان لا يفتَّش عن كاتب لا يريد ان يعلن اسمهُ. ويحتمل ان الامضاء امضاء كاتب عارف باحوال المدارس الانكليزية لان ضمير المتكلم يطلق على المذكر والمؤنث

واما ما فاتهُ ولم يفت غيرهُ فهو فضل هذه المدارس وذلك ظاهر من سياق الكلام في ان المدرسة الداخلية هي اول مدرسة في سورية (قانونيَّة علَّمت اللغات الاجنبيَّة والبيانو والتطريز الخ . وفن التعليم) قبلما انشئ غيرها بزمان "والفضل للمتقدم" وان نجاحها السريع حرَّك همة الغير حتى نسجوا على منوالها . واما فائدتها فهي لوجود فروعها التسعة والخمسين في انحاء عديدة ولكثرة اقبال الطالبات اليها حتى بلغ عددهنَّ ٤٦٨٠ اربعة آلاف وستمائة وثمانين كما اثبتناهُ في المقالة المذكورة وقد سها حضرة "تاجر" عن قراءة الصفر الى اليمين مع انهُ ظاهر ظهور فضل المدارس السورية الانكليزية

واما نسبتنا عمل الرئيسات اللواتي تولين ادارتها الى انهُ " ابتغاء لوجه الله الكريم وحباً للقريب " فهو لكونهنَّ خدمنَ هذه الخدمة الشريفة بدون اجرة لا بل انهنَّ انفقنَ من اموالهنَّ المبالغ الطائلة في سبيل انجاح هذه المدارس

ومع ان الاقرار بالفضل واجب فاقرارنا بهِ لا يمنع ان يكون غيرهنَّ ممن حذا حذوهنَّ و بذل النفس والنفيس في خدمة العلم والوطن من اهل الفضل نظيرهنَّ يستحق المدح والاكرام وان يخلد اسمهُ في بطون الصحائف كما ان قولنا ان حضرة التاجر "تاجر" امين صادق في معاملتهِ يقنع بالارباح القليلة لا يمنع ان يكون غيرهُ من التجار من ذوي الصدق والاستقامة وفي هذا القدر كفاية

س . خ .

مدرسة البنات الاميركية في طرابلس الشام

لئن فضل الشرقيون رجالهم على النساء ونظروا الى المرأة نظرة الازدراء فذلك لا ينقص من قدرها ولا يحطّ من مقامها طالما هي أُمٌّ وامرأة تدبر العائلة بحسن ادارتها وتربي

الاولاد بفضل آدابها وتلهم الرجل بسديد رأيها وترقي البلاد باعداد رجالها

ولم يكن للمرأة قدر يُذكر ولا مقام يُعرَف حتى قامت المدارس لتعليمها وشيدت دور الادب لتهذيبها فخرجت منها تضاهي الرجل بمضاء العقل وتجاريهِ في ميدان العمل الى حدّ أدرك الرجل عندهُ مقام المرأة الجديد فطرح عنهُ ما كان في عقلهِ من احتقارها ورأَت هي منهُ ذلك فأخلصت لهُ محبتها وأُنعشت بروح الحريَّة فسارت في مضمار الارتقاء شوطًا بعيدًا

نظر الغربيون بوجهِ الحكمة الى اهمية المرأة في التربية وعرفوا مواضع الخلل فيها فاصلحوها وكاد ان يقضى على المراة في الشرق لولا نفحة علم هبَّت فأحيت ما كان ميتًا من حقوقها واظهرت ما كان غامضًا من عجائبها وأبانت في مدارسنا السورية للبنات من قوة المرأة واهليتها ما لم يحلم بهِ اجدادنا من قبلنا. فقد احتفلت في ٢٦ حزيران من هذهِ السنة مدرسة البنات الاميركية في طرابلس الشام بمنح شهاداتها لخمس من الفتيات وما أَزفت الساعة الاَّ ووفد القوم الى المنتدَى الاميركي حتى اذا غصَّ بهم افتُتِح الاحتفال بالصلاة انبرَت المنتهيات الخمس بحللهن البيضاء فتلت الآنسة هيلانة جرجس خطابًا في "اللغة الانكليزية" والآنسة انيسة صراف خطابًا "في السعي وراء المال" والآنسة زهية غراب خطابًا في "المهاجرة" والآنسة روزا نحاس خطابًا في "الخمول في الشرق" والآنسة منَّاشة حكيم خطابًا في "التهذيب الحديث والوداع" وقد أظهرت كلٌّ منهن من سعة الاطلاع والبراعة في الالقاء ما حملنا على الاعتراف بفضل المدرسة المذكورة وتقديم الثناء للقائمين بها الذين لا يألون جهدًا في اعلاء شأنها. ثم تلاهنَّ حضرة الخطيب السنوي الاستاذ داود افندي قربان بخطاب انيق في "الوراثة الطبيعية" بيَّن فيهِ ما يجب على الوالدين ان يورّثوهُ لاولادهم الذين سيتصفون باوصافهم وينشأون على نشأتهم ومنحت الشهادات بين التصفيق والانغام وارفضَّ الجمهور وهم يدعون لمشيِّدات العلم بدوام البقاء

طرابلس الشام ا. اخ

ردٌّ على انتقاد

اطلعتُ على ما ورد في الجزء الثالث من مقتطف هذه السنة لحضرة الاديب (باحث مستفيد) تحت عنوان منزلة الشعر من التاريخ فرأيت في كلامهِ الامور الآتية

(١) مؤاخذة مجلة المقتطف بتنويهها بفصول مقالتي

(٢) شكوى من التطويل في مقالتي

(٣) ادعاؤهُ انني لم اكد اعثر على شيء لا ينتظر وجودهُ عند العرب في الزمن الذي

نظموا فيهِ الاشعار التي استشهدت فيها

(٤) ان النقود وُجدت في زمن اسبق من الزمن الذي رويتُ ان العرب كانوا يتعاملون فيهِ بالنقود

(٥) انهم لولا تعاملهم بالنقود لما كانوا بشرًا

(٦) كون وزن النقود والذهب والفضة دليلاً على ضعف العمران

(٧) ذكر ملابس العرب لا يدل على ارتقائهم

(٨) ان التيجان اقدم استعمالاً من زمن العرب

(٩) القول ان العرب كانوا ياكلون ويشربون ويلبسون ويبيعون ويشترون مثل سائر الناس ليس فيهِ شيءٌ من التنويه

وسأجيب على كل ذلك

البحث الاول

حبذا لو جاد حضرة المنتقد الفاضل باسمهِ الكريم ليكون تأدُّبي في مناظرتهِ اتمّ بل لاتحقق ما اذا كان لي ان اجاذبهُ عنان المناظرة او لا. فقد ذكر حسن باشا زاده في شرحهِ رسالة كلنبوي "ان للمناظرة آدابًا تسعة .... ثامنها انهُ ينبغي ان يحترز عن المناظرة مع اهل المهابة والاحترام" وقال عبد الوهاب الآمدي في شرح الولدية "ولا تباحث المهيب المحتشم"

ثم ان مواد الاقيسة تختلف مكانتها باختلاف المتناظرين فما يجب على فريق ان يسلم بهِ قد لا يجب على فريق آخر التسليم بهِ فلو عرف كلٌّ منَّا مناظرهُ لكانت سهام احتجاجهِ اسدَّ تصويبًا وأَصمى رمية. فضلاً عن ان البلاغة مطابقة الواقع لمقتضى الحال. ومقتضى الحال يطلب تعيين المخاطب

ومالي اعدد اوجه الاحتجاج في هذا الصدد وقد تصدَّى حضرتهُ لمعارضة منشئي المقتطف الفاضلين في قدر بحث علمي وهما اللذان ما برحا منذ نحو ثلاثين عامًا يستخرجان من مناجم الابحاث المفيدة درر الفوائد فيرصعان بها قلائد المعقول والمنقول وقد خبرا اذواق قراء مجلتهما فعرفا اية ابحاث هي اسوغ في آذانهم واعلق باذهانهم. فهل بلغ حضرتهُ مبلغهما في كل ما ذكر ليكون لرأيهِ من الوقع ما لرأيهما

اقول هذا تطويلاً في البحث على ما ينسبهُ اليَّ حضرة المنتقد ولو شئت لقلتُ لم يكن التنويهُ مني فيتعين الجواب عليَّ

البحث الثاني

قال حضرة المنتقد " فتنشرونها على ما فيها من التطويل كأَنها من المكتشفات العصرية والمبتدعات المفيدة "

اجيب ماذا يريد حضرتهُ بقولهِ " على ما فيها من التطويل " فان اراد اعطاء كل بحث حقهُ من الاستيفاء فهل يرى في ذلك بأساً. وان اراد ان من الشواهد ماهو متفق المعنى موحَّد الغاية فذلك يكون لاختلاف تلك الشواهد في الوضوح او لتعدد قائليها او لاعتبارات اخرى. والمسلك الذي سلكت فيهِ هو مسلك جلة العلماء والمنشئين ألا يرى ان مجلة المقتطف في مقالتها "مشاهير الزمان" المدرجة قبيل انتقادهِ بصفحاتٍ اتت بثلاثة شواهد متفقة المعنى موحَّدة الغاية مع ان ذاك البحث ليس ممَّا يشتجر بهِ عوامل الاختلاف . وهكذا نجد سيبويه امام النحاة يورد على القاعدة الواحدة عدة شواهد انظر مثلا "باب ما اواخر الاسماء فيهِ الهاء" فانهُ قد قال فيهِ "واعلم ان الشعراء اذا اضطرُّوا حذفوا هذهِ الهاء في الوقف وذلك لانهم يجعلون المدة التي تلحق القوافي بدلاً منها وقال الشاعر (ابن الخرع) (متقارب)

كادت فزارة تشقى بنا فاولى فزارة اولى فزارا

وقال القطامي قفي قبل التفرُّق يا ضباعا

وقال هدبة عوجي علينا واربعي يا فاطما "

وهذه الشواهد الثلاثة في بحث واحد لغاية واحدة . وهذا الامام ابن منظور اللغوي مع ما اشتهر عنهُ من تلخيص المطوَّلات واكتفائهِ بالزبد نجدهُ في معجمهِ لسان العرب يسرد الشواهد العديدة في البحث الواحد للمقصد الواحد مثال ذلك قولهُ ان الصراري هو الملاَّح (البحَّار) " بدليل قول الفرزدق

ترى الصراريَّ والامواج تضربهُ لو يستطيع الى بريَّة عبرا

وكذلك قول خلف بن جميل الطهوي

ترى الصراريَّ في غبراء مظلمة تعلوهُ طوراً ويعلو فوقها تيرا (١) "

فاكتفي بهذه الشواهد خشية التطويل واقول ان سرد الشواهد المتعددة في البحث الواحد للغاية الواحدة لهُ مواقع هي اشبه بما يذكرهُ علماء المعاني من مواقع ذكر المسند اليهِ

ولعل حضرة المنتقد يذهب في عبارتهِ السابق ايرادها الى نكتة بديعية هي الاتيان بالمديح في معرض الذم فألبس عبارتهُ مظهراً تبدو بهِ المؤاخذة وهو يبطن الثناء ويؤيد هذا الظن اذا

(١) تير جمع تارة

اعتبرنا كأن في قولهِ "كأنها من المكتشفات العصرية" واردة للتأكيد على مثال ما تخرج قول امرىء القيس

أحارِ بن عمرٍ كأني خمر   ويأتي على المرء ما يأتمر

اي انني خمر . اقول ان كان هذا ما ارادهُ فان فريقاً كبيرًا في طليعتهِ حضرة الكاتب البليغ والباحث المدقق محمد افندي كردعلي يرى غير ما ارتاهُ ويقول انني آخذ ما خذ الاختصار ويشير عليَّ بالتطويل وارى ان القول ما قالهُ هذا الفريق فقد اوجزت الكلام في معظم الفصول التي اوردتها وكان الأولى ان استوفيَ البحث فمن ذلك

(في فصل الطيوب) ذكرتُ في فصل الطيوب ان الرجال كانوا يتطيبون واهملتُ الفصل بين الطيوب الخاصة بالنساء والطيوب المشتركة بين الفريقين . فقد روي عن ابراهيم النخعي انهُ قال "انهم كانوا يكرهون المؤنث من الطيب ولا يرون بذكورتهِ بأساً" قال شمر "اراد بالمؤنث طيب النساء مثل الخلوق والزعفران وما يلوّن الثياب واما ذكورة الطيب فما لا لون لهُ مثل الغالية والكافور والمسك والعود والعنبر"(٢) واقول هذا القول اغلبي فقد ورد ان الذكور كانوا يتطيبون بمؤنث الطيب قال الاعشى

ان الاحامرة الثلاثة اهلكت   مالي وكنتُ بها قديماً مُولَعا
الخمر واللحم السمين واطّلي   بالزعفران فلن ازال مولَّعا

والزعفران من مؤنث الطيب كما ترى ذلك في كلام شمر

(وفي فصل الصنائع) اهملتُ من فصل الصنائع ذكر الخياطة وقد ورد من شواهدها قول الاعشى

وانبئتُ قيساً ولم ابلهُ   كما زعموا خير اهل اليمن
يشقُّ الامور ويجتابها   كشقّ القراري ثوب الرَدَنْ (٣)

(وفي بحث الاستياك) اهملت انهم كانوا يتخذون المساويك من خشب الزيتون ايضاً . قال النابغة الجعدي

كأن فاها اذا "تحدَّث" من   طيب مشمٍ وحسن مبتسم
يُسَن بالضرْو من براقش أو   هيلان او ناضرٍ من العُتُمِ (٤)

(٢) عن مادة انث في لسان العرب   (٣) يشق الامور اي يبرمها ابرامًا . ويجتابها اي يقطعها على احسن الوجوه . والقراري نسبة الى القرار اراد بهِ الخياط . الردن الخز عن المقاصد النحوية للعيني

(٤) يسن يسوك . الضرو شجر طيب الرائحة والعتم الزيتون . وبراقش وهيلان واديان في اليمن

(وفي بحث الغياصة) اهملتُ ما اوردتهُ في هذا الرد من شواهد الصراري وشواهد أُخرى تؤيد وجود الملاحة عند العرب

(وفي بحث الحدادة) اهملت ذكر اشتهار بني تميم بالحدادة نظرًا لما هو مشهور من هجاء جرير للفرزدق بان اباءهُ كانوا قيونًا كقولهِ

كان العنان على ابيك محرَّمًا والكير كان عليهِ غير حرامِ

كما اهملت استطراد البحث في قول النابغة الذبياني

وكل صموت نثلة تبعية ونسج سليم كل قمصاء ذائل

فقد ذهب بعضهم كقدامة بن جعفر الى ان المراد بسليم سليمان بن داود النبي فغيَّر اسمهُ لضرورة الوزن (٥) فانَّ ذلك البحث طويل ربما اخرجني عما رسمتهُ لنفسي

البحث الثالث

قال حضرة المنتقد "ولكن يرى لدى امعان النظر انهُ لم يكد يعثر على شيء لا ينتظر وجودهُ عند العرب في الزمن الذي نظموا فيهِ الاشعار التي استشهد بها"

اجيب انني قلت " الشعر اهرام التاريخ الناطقة بآثار الامم في حالتي الصولة والصغار وبرج المآثر الخالد مع الدهر خلود الليل والنهار " ولم اقل اننا " نعثر على شيء لا ينتظر وجودهُ الخ " فيكون لاعتراضهِ وجه

ثانيًا ان اعتراضهُ يتحمل ضمنًا الادعاء ان العثور على المنتظر لا يعدُّ ذا شأن . وهو ادعاء باطل فاننا نجد روَّاد العاديات لا ينقبون عنها الَّا حيث ينتظرون العثور عليها ومع ذلك فان ما يعثرون عليهِ يعدونهُ من التحف

ثالثًا ليس كلُّ ما ينتظر معلومًا واضرب لذلك مثلاً وهو انني لمَّا مثلتُ روايتي وفاء السموأل جاء فيها " سلام ايها الملك الهمام " فانكر عليَّ بعض الادباء ان يكون السلام على الملوك عند العرب في الجاهليَّة هكذا وانما كان بأبيت اللعن فقلت اولاً ينتظر ان يكون السلام بالعبارة التي وردت في كلامي فرُدَّ عليَّ بان المنتظر قد لا يكون حادثًا حينئذٍ استشهدت بقول امية "سلام ايها الملك اليماني " ولهذا قلت " ابيت اللعن وردت تحيَّة تستدل انها احدى التحيات الواردة في مخاطبة الملوك لا التحية الخاصة كما يزعم البعض (٦)"

وعلى ذلك فبما ان بعض المنتظر غير معلوم . وكل ما ليس بمعلوم يكون في نشرهِ فائدة

(٥) انظر فصل ائتلاف اللفظ والوزن من كتاب نقد الشعر

(٦) انظر الصفحة ١١٤١ من مجلد المقتطف ٢٧

مَّا كان في ما انشرهُ عند من يعدُّهُ ،منتظرًا غير معلوم فائدة هي منية لمطالع الادب

البحث الرابع

قال حضرة الاديب " ان استعمال النقود قديم جدًّا من قبل عهد الاسكندر "

" وان العرب لا يُعقل الاَّ انهم يستعملون النقود الشائعة عند الامم المتاخمة لهم "

واثباتنا انهم كانوا يستعملون النقود المستعملة عند الامم المتاخمة لهم كاثباتنا انهم كانوا يطبخون الطعام و يلبسون الثياب

اجيب على المقدمة الاولى

لم اتعرض للبحث في " متى وُجدت النقود عند العرب " وخلاصة ما كان مني انني اوردت في الابحاث التي سبقت فصل استعمال النقود ان العرب كانوا ذوي ارتقاء في العمران (٧) .ثم قلت ان "النقود وسيلة التعامل عند الامم الراقية في العمران (٨)" فكان قياس كلامي ما يأْتي

كان العرب من الامم الراقية في العمران . والامم الراقية في العمران كانت تتعامل بالنقود . فكانت امة العرب تتعامل بالنقود .اذن فلا يرِدُ على قولي قولهُ " ان استعمال النقود قديم جدًّا من قبل عهد اسكندر "

واجيب على المقدمة الثانية هذا قول مطلوب البيان

واجيب على النتيجة (اولاً) لا مناسبة بين المحمول والمحمول عليهِ فقد تترقى المدنية الى مكانة سامية في العمران ولا نقود . ولا يعيش انسان بلا طعام

(ثانيًا) لا اعلم من اين اتى بهذه النتيجة فان انكر كونها نتيجة فالمطلوب اثبات صحتها

ثم انهُ لا يعزب عن حضرتهِ ان المؤرخ يجب عليهِ ان يذكر ما كان من ابحاث تاريخية استطرادًا والاَّ كانت ابحاثهُ غير مستوفاة . وقد وضعتُ فصل النقود دفعًا لتوهم ان العرب كانوا لا يتعاملون بالنقود كما سيرد في هذا الرد

ولا خلاف ان الشعر العربي لم يصل الينا من بدء استعمالهِ وانما وصل الينا ما ورد منهُ قبيل الاسلام بقليل فالشعراء الاولون مجهولو الاقوال ولو وصلت الينا اقوالهم لاتخذنا منها حججًا تاريخية مكانتها من الاعتبار بمكانة تلك العصور

وكما ان في تعدّد الاهرام فوائد تاريخيَّة كذلك في تعدد اشعار العصور فوائد تاريخية

(٧) انظر الفصل الثاني من مقالة منزلة الشعر المدرج في الجزء ٢١١ من المجلد ٢٧١١ من المقتطف والفصل الثالث في الجزء ٥١١ والجزء ١١١١ (٨) الجزء الاول من المجلد ٢٨١١

فالعصر الدارس شعرهُ لا نستطيع معرفة مدنيتهِ كما لو كنَّا وقوفاً على شعرهِ

ولما كان عصر استعمال النقود من زمن "قديم جدًّا قبل عهد الاسكندر" كما يقول حضرة المنتقد كان الوقوف على بدء استعمال النقود مما يقوم عذري اذا لم استطع تعيينهُ من الشعر

وقد تقاضاني حضرة المنتقد بحثاً آخر هو ايراد شاهدٍ على صك العرب الجاهلية نقوداً فان الشواهد التي استشهدتُ بها منها ما يدل على كونها مجتلبة من نقود الامم المتاخمة ومنها ما لا يدلُّ على شيءٍ سوى تداولها بين العرب . وهذا البحث قد اعرتهُ التفاتاً خاصًّا لاسيما بعدما اشار عليَّ بهِ ولكنني لم اظفر لهُ بشاهد شعريٍ مع كل ما بذلتهُ من الاهتمام . وقد ظفرت بشاهدٍ غير شعري ذكرهُ المبرد في كتابهِ الكامل وهو

" وحدثني التوازي عن ابي عبيدة او الاصمعي عن ابي عمرو قال . قال لي رجل من اهل القريتين (٩) اصبتُ ههنا دراهم وزن الدرهم ستة دراهم واربعة دوانيق من بقايا طسم وجديس تخفت السلطان فأخفيتها (١٠) " ولم اورد هذا الشاهد في مقالتي لانهُ من المنثور

امين ظاهر خير الله

حمة النحلة والزنبور

اني قرأت بمجلة المقتطف جزء سابع سنة ١٩٠٣ صفيحة ٦٠٢ تحت عنوان لسع الحشرات ما يأتي : اذا لسعت نحلة او لسع زنبور ولدًا فاجتهد اولاً لتنزع الحمة (اي شوكة النحلة او الزنبور) وهذا لتفسير غلط محض لان الحمة السم والضر كما جاء في كتاب اداب الكاتب للامام عبد الله بن قتيبة الدينوري (حمة العقرب والزنبور) يذهب الناس الى انها شوكة العقرب وشوكة الزنبور التي يلسعان بها وذلك غلط انما الحمة سمهما وضرها وكذلك هي من الحية لانها سم ومنهُ قول ابن سيرين يكرهُ الترياق اذا كان فيهِ الحمة يعني بذلك السم واراد لحوم الحيات لانها سم ومنهُ قولهُ لارقية الاَّ من نملة او حمة ولذا ارسلت لكم بهذا لتصليحهِ وتصليحهِ بالعدد القادم . ولي بعد درج هذا التصليح شيءٌ آخر والسلام

(المقتطف) جاءنا هذا التصحيح او الانتقاد من غير تخليص من البريد ومن غير امضاء فاستلمناهُ من البريد على خلاف عادتنا من اهمال ما يرسل الينا من غير تخليص ونشرناهُ على غير عادتنا من اهمال ما يأتينا من غير امضاء . اما استلامهُ فكان خطأً واما نشرهُ فكان

(٩) قال المبرد ويقال ان اليمامة والبحرين والقريتين ومواضع هناك كانت لطسم وجديس

(١٠) في الصفحة ٤٢١ا من نسخة الكامل المطبوعة سنة ١٢٨٦

لاظهار فائدة والفائدة هي انهُ اذا اختلف اهل اللغة واهل علم في معنى كلمة مستعملة في ذلك العلم فالقول ما قالهُ اهل العلم في ذلك المعنى . ومن هذا القبيل كلمة حمة فان علماء اللغة يقولون ان معناها السم لكنهم لا يحتمون ان معناها السم لاسواهُ فقد قال صاحب لسان العرب "الحمة السم وقال بعضهم هي الابرة التي تضرب بها الحية والعقرب والزنبور ونحو ذلك او تلدغ بها"

وظاهر من ذلك ان علماء اللغة الذين نقلوا العربية عن اهلها رأوا ان بعض العرب يستعملون الحمة بمعنى شوكة الزنبور والعقرب واكثرهم يستعملها بمعني السم لكن المتكلمين في طبائع الحيوان وعليهم المعول في اسماء اعضائهِ لهم ان يسموا كل عضوٍ من اعضائهِ بما يشاؤون سواء وافقوا في ذلك علماء اللغة او لم يوافقوهم كما ان الصرفي والنحوي والبياني والعروضي والمنطقي يستعمل كلٌّ منهم في علمهِ كلمات كثيرة موافقة لوضعها او غير موافقة لهُ ككلمة صرف ونحو وماضي ومضارع وامر وسالم وصحيح ومعتلّ ومثال واجوف وناقص ومبتدإٍ وخبر ومنصوب ومجزوم ومضاف ومسند وتورية واستعارة وجناس وقافية وفاصلة وموضوع ومحمول الى غير ذلك ممَّا يعد منهُ ولا يعدَّد

فهل استعمل المتكلمون في طبائع الحيوان الحمة بمعنى ابرة النحل والزنابير والجواب نعم وهاك ما قالهُ امام المتكلمين في طبائع الحيوان من العرب كمال الدين الدميري قال في كلامهِ على النحل ما نصهُ "ومن خصائص الملك ان لهُ حمة يلسع بها" وكلامهُ حجة لا تردُّ

باب الزراعة

مثال الاباعد

ابعدية المسيو بايرلي

طالما بلغنا عن ابعدية المسيو بايرلي مدير البنك العقاري المصري انها مثال الاباعد المصرية في الاعتناء بالزراعة وخدمة المواشي فقصدناها في هذهِ الاثناء لكي نرى الاساليب المتَّبعة فيها ونصفها لحضرات القراء الذين لم يشاهدوا تلك الابعدية لان السبيل الذي يرجى منهُ النفع الاكبر لاهالي هذا القطر هو اتقان الزراعة اتقانًا تامًّا حتى ان الفدان الذي يبلغ محصولهُ خمسة ارادب من الحنطة او خمسة قناطير من القطن يصير محصولهُ ثمانية ارادب من

الحنطة او ثمانية قناطير من القطن وقس على ذلك سائر حاصلات الارض . وهذهِ النتيجة اي زيادة الحاصلات من خمسة الى ثمانية او عشرة مقدورة لكل ارباب الزراعة في اكثر الاباعد والسبيل اليها غير متعذر على احد وهي تقوم باتقان الحرث والعزق والتسميد والري والصرف وانتقاء التقاوي كما سيظهر من الشرح التالي

ذهبنا الى ابعدية المسيو بايرلي من الزقازيق في مركبة اوصلتنا اليها في نصف ساعة والطريق اليها متحفّر كثير المرتفعات والمنخفضات يعلوهُ الغبار احياناً حتى يسد المنافس لكثرة ما يمرُّ عليهِ من المركبات والمواشي والقطعان . والاطيان على جانب الطريق جيدة التربة بعضها مهمل وبعضها مخدوم خدمة حسنة ولو خُدِمت كلها الخدمة الواجبة لكانت مزروعاتها من اجود مزروعات القطر لكن الاهمال والتقتير باديان على كثير منها ولا سيما اذا قوبلت باطيان المسيو بايرلي التي بلغ فيها الاعتناء والكرم على الزراعة مبلغا يفوق الوصف

ولم نكد نصل الى حدود ابعدية المسيو بايرلي حتى بدت لنا دلائل العناية في مجرى الوابور والاشجار المغروسة على ضفتيهِ والنبات المزروع علفاً للغنم وكان حضرة الخواجا انطون خير وكيل المسيو بايرلي ومدير ابعديتهِ ينتظر قدومنا فاستقبلنا ببشاشتهِ المعهودة وشرع من ساعتهِ في اطلاعنا على ما الابعدية من المباني والآلات والادوات والاساليب المختلفة فقضينا نحو اربع ساعات كلها بحث وفائدة

والابعدية الف ومئتا فدان والظاهر انها لم تكن من جيد الاطيان لانها واطئة نوعاً حتى ان مياه المصارف التي حولها تبلغها اذا لم تطهَّر وهذا مما يزيد فضل المسيو بايرلي ووكيلهِ الخواجه خير اللذين اوصلاها الى هذه الدرجة من الخصب بعد ان كانت ارضاً سبخة ومما يثبت لاهالي القطر ان كل الاطيان التي يمكن ان تروى وتصرف تجود بالري والصرف وحسن الخدمة حتى تصير مثل اجود الاطيان

ومما يستوقف النظر اولاً ان كل ما ينقل في هذه الاطيان ينقل بمركبات على سكك حديدية ففيها سبعة عشر كيلومتراً من الخطوط الضيقة تنقل عليها الحاصلات والردم والسباخ ويسير عليها النظار اقتصاداً في الوقت والقوَّة وتوفيراً للنفقات . وقد بقينا نحو ثلاث ساعات راكبين مركبة يجرها بغل ونحن ننتقل في الاطيان من جهة الى اخرى ولو سرنا تلك المسافات مشياً على الاقدام لقضينا سبع ساعات وانهكنا التعب

ثانياً مزارب المواشي ومخازن الحاصلات وهي كلها واسعة عالية مطلقة الهواء مبنيَّة بالطوب الاحمر ومسقوفة بالقرميد وارضها مفروشة بالاسفلت تمتد فيها الخطوط الحديدية .

ومزارب المواشي منفصلة عن مخازن الحاصلات وهي ثلاثة يسع المزرب (الدوار) منها اربعين زوجاً من الثيران ونحو عشرين فرساً او بغلاً ومئتي رأس من الغنم . وتقف المواشي ورؤوسها متقابلة على معلفين متوازيين متقابلين بينهما طريق عرضهُ متران مفروش بالاسفلت والسكة الحديدية تسير وراء المواشي من هنا ومن هناك لجلب الردم ونقل السباخ . والخيل والغنم في جناحين على جانبي المزرب. والمزارب كثيرة الشبابيك فضلاً عن ارتفاع سقفها الفائق فلا تشم فيها اقل رائحة خبيثة حتى كأن المواشي قائمة في الخلاء تظللها مظلَّة عالية من اشعَّة الشمس وهذا ممَّا يدعوها الى زيادة الاكل ولكنهُ يزيد قوَّتها ايضاً . وقد كانت المواشي تملأ المزارب الثلاثة ولكن استُغني عن جانب منها بعد جلب محراث بخاري كما سيجئ

وصحة المواشي جيدة جدًّا ولم يصل اليها طاعون المواشي ولا سبيل لوصولهِ اليها على ما يظهر لانها تشرب من ماء بئر ولا تخالط المواشي الاجنبيَّة . لكن اساليب العدوى مختلفة فقد عديت الفراخ التي هناك بكولرا الفراخ وماتت كلها والظاهر ان العدوى وصلتها بواسطة العصافير على ما يظنهُ حضرة الوكيل

والمخازن كبيرة مثل المزارب وهي غرف فسيحة ارضها مفروشة بالاسفلت ومع ذلك لا تنجو الحبوب فيها من السوس اذا اقامت من سنة الى اخرى وقد رأينا فيها الفول الباقي من علف المواشي من السنة الماضية ضربهُ السوس حتى اتصل بكل حبة منهُ . والحبوب مفصولة في المخازن كل نوع على حدة وهي عرَم كبيرة جدًّا لكثرة ما يستغلُّ منها

ثالثاً عزب السكان وقد دخلنا عزبتين منها وفي كل منهما جامع بناهُ المسيو بايرلي احسن بناء واستوفى فيهِ الشرائط الصحيَّة كلها. اما بيوت الفلاحين انفسهم فلا يظهر انها ارتقت عن حالة السداجة التي تكون في سائر العزب كأنَّ سكَّانها لا يستطيعون ان يصنعوا شيئاً لانفسهم من تلقاء انفسهم فيرون بيت المالك ووكيلهِ ومستخدميهِ ومخازن الغلال ومزارب المواشي كلها مبنية احسن بناء ونظافتها تامة ولا يهتمون بتنظيف مساكنهم مثلها . بل يرون قفران النحل ومرتفقات الجوامع انظف من بيوتهم ولا تاخذهم الغيرة . وهذهِ خلَّة تشغل البال لانهُ ان لم توجد في الفلاحين محبة الاقتداء بالغير والتمثل بمن هم احسن منهم لا ترتقي حالهم مهما بذل من الوسائل لترقيتهم

رابعاً مخمر السباخ . قلنا ان الردم تحت المواشي وجمع السباخ من تحتها وتحت الدواب والغنم دائمان لكن سباخ هذهِ الحيونات لا يكفي اطياناً مساحتها ١٢٠٠ فدان وقد بُذِلت العناية في عمل السباخ الصناعي من نفايات الزراعة وغائط السكان وما يستخرج من مراحيض الجوامع

في المدن القريبة كالزقازيق و بردين

وصُنِع في الارض حوض كبير جدًّا قائم الزوايا وبُطن من الداخل بالسمنت فتقص عيدان الذرة وكل نفايات النبات وتوضع في هذا الحوض ويوضع معها تراب و يصب عليها كل ما يمكن الحصول عليهِ من بول وغائط وماء قذر . واسفل الحوض منخفض تتجمع فيهِ المياهُ المتجلبة ثم ترفع بطلمبا يديرها ثور وترسل في انابيب معدنية وتنصب ثانية على ما في المخمر فيختمر كل ما فيهِ ويتحلل ويستحيل الى سماد تفوح منهُ رائحة النشادر ثم يرفع ويمزج بقليل من فصفات الجير حتى يصير منهُ فصفات الجير النشادري و ينقل الى الغيطان وتسبخ بهِ الارض المعدَّة لزراعة الذرة فيحرث معها ويبقى فيها منهُ من الغذاء ما يكفي للقمح والقطن اللذين يزرعان بعد الذرة

والحوض المشار اليهِ مقسوم قسمين حتى يستعمل قسم منهُ بينما يملأُ القسم الآخر . والاسلوب المستعمل لنزح مراحيض الجوامع واجرائها الى هذا المخمر تدل على تمام الاعتناء والمهارة والحرص على الانتفاع بكل شيءٍ

خامسًا المحاريث — المحراث المستعمل هناك هو المحراث البلدي ويفضِّلهُ حضرة الوكيل لخفتهِ ولانهُ لا يغور كثيرًا في الارض . وقد صلح الاطيان بالقصابيَّة البلديَّة لكنهُ يستعمل ايضًا محراثًا بخاريًّا كبيرًا من معمل فَوْلر لهُ وابوران بخاريان كبيران قوَّة كلٍّ منهما ١٦ حصانًا فيسير الوابوران على جانبي الحوض ويجرَّان المحاريث بحبل ثخين من اسلاك الصلب ذهابًا وايابًا ويتقدمان رويدًا رويدًا الى ان يتمَّا حرث الحوض كلهِ وهما يحرثان في النهار من ١٥ فدانًا الى ٢٥ فدانًا حسب كون الارض صلبة او لينة . وثمن هذين الوابورين والمحاريث التي يجرانها ثلاثة آلاف جنيه واسلحة المحاريث لا تقلب الارض كثيرًا كسكك المحاريث الافرنجيَّة فهي شبيهة باسلحة المحاريث البلدية ولكنها اشد غورًا منها في الارض فترفع التراب الاسفل وتقلل خصب الارض مدة سنتين او ثلاث الى ان تمضي مدة كافية لفعل الهواء والشمس . اما التخطيط فيكون بالمحاريث البلدية

غير ان هذا المحراث البخاري غالي الثمن ثقيل على الارض ويصعب نقلهُ فيها اذا كانت كثيرة المراوي وقد علمنا من الخواجه انطون صباغ انهُ اشترى محراثًا بخاريًّا يجرهُ وابور واحد متصل بهِ وهو رخيص ثمنهُ الف جنيه ويحرث في النهار اكثر من عشرين فدانًا حرثًا جيدًا يقوم مقام حرثتين بالمحاريث البلدية فاذا بقي جاريًّا هذا المجرى فقد انحلَّت بهِ عقدة كبيرة من عقد الزراعة في هذا القطر وهو عدم وجود المواشي الكافية وغلاء العلف واجور الانفار .

سادساً سائر ادوات الزراعة هي كثيرة جدّاً اخصها آلة الضم وآلة الدراسة وقد رأينا آلة الدراسة تدرس الحنطة ولها فم كأنهُ الهاوية يلتهم اغمار الحنطة باسرع من البرق تدرسها الآلة وتغربل الحنطة وتفرزها وتلقي الحبوب الكبيرة في كيس والمتوسطة في كيس ثانٍ والدقيقة في كيس ثالث ويخرج التبن منها مكسَّراً مدعوكاً وهي تدور بآلة بخارية قوتها ثمانية احصنة وتدرس في النهار غلة ستة فدادين اي نحو ٤٨ اردبًّا من الحنطة و٩٦ حملاً من التبن لان متوسط غلة الفدان هذه السنة ثمانية ارادب من القمح و١٦ حملاً من التبن

ومنها آلة انتقاء التقاوي وهي غرابيل اسطوانية مختلفة الثقوب فتفرز الحبوب الرقيقة وحدها والكبيرة وحدها ولا يستعمل للتقاوي الاَّ الحبوب الكبيرة وبهذه الواسطة انتقي القمح والشعير والذرة السبعينيَة حتى صارت حبوبها من اجود ما يكون ومحصولها من اكثر ما يكون

ومنها ميزان يزن الحاصلات وتخرج منهُ ورقة كتب عليها مقدار كل زنة وآلات لتكسير القلاقيل . وهناك ورشة لتصليح الآلات والادوات

سابعاً الاعتناء بالمراوي والمصارف وتبطين بعضها بالسمنت او زرع نوع من الزنبق على حافاتها حفظاً لها من الانهيار وزرع الاشجار على جوانبها تظليلاً للسابلة وانتفاعاً بجسورها . واكثر الاشجار من شجر سريع النمو بلغ ساق بعضهِ ١٢ متراً ارتفاعاً ونحو ٢٠ سنتيمتراً قطراً مع ان عمرهُ سبع سنوات . والاهتمام بهذهِ الاشجار كثير حتى انهُ زرعت غابة كبيرة منها . وزرعت اشجار اليوكالبتوس في اماكن كثيرة للاستظلال بظلها والانتفاع بخشبها هذا عدا الحديقة الخاصة ببيت المالك وما فيها من اشجار الفاكهة والازهار والرياحين

ثامناً الاعتناء بتربية النحل للانتفاع بعسلهِ وبتلقيحهِ لازهار المزروعات بعضها من بعض وقد استُغلَّ من العسل هذا العام نحو ٦٠ كيلو وهي تستخرج بآلات استخراج العسل وتوضع في حناجر من الزجاج والعسل شفاف ابيض ضارب الى الصفرة يباع الكيلومنهُ باثني عشر غرشاً

وليس في الارض الآن زراعة غير القطن وهو تامٌ مخضرٌ الورق كثير الطرح ويظن حضرة الوكيل ان محصول الفدان هذا العام لا يكون اقل من محصولهِ في العام الماضي ان لم يكن اكثر منهُ

هذا ولا شبهة في ان النفقات التي أُنفقت على هذه الاطيان كثيرة جدّاً ولكنها لم تضع سدًى بل كل جنيهٍ أُنفق عليها زاد في قيمتها جنيهات وقد بدأَت فائدتهُ تظهر في زيادة الريع فان الريع يزيد الآن عاماً فعاماً والنفقات تقلُّ عاماً فعاماً وهذا غاية التدبير الزراعي . ولا شبهة في انهُ انفقت فيها نفقات كثيرة يمكن الاستغناء عنها لانهُ لم يُتبع في تنظيمها دستور كان معروفاً

في هذا القطر فهي الآن دستور ما يتلوها فيجتنب الذين يجرون على مثالها النفقات الزائدة ويقتصرون على ما ثبت لزومهُ ونفعهُ بالاختبار وكأنها مدرسة زراعيَّة ودار امتحان افادت الذين شاهدوها وستبقى فائدتها تتجدَّد ما دام الناس ينتفعون من اختبار غيرهم

الهليون (كشك الماظ)

الهليون ويعرف في مصر باسم كشك الماظ نبات معروف يؤْتى باغصانهِ الطرية من اوربا وتباع بثمن غالٍ جدًّا . وهو يزرع الآن في القطر المصري ولكن ما رأيناهُ منهُ لا يقابل بما يأتي من اوربا لا من حيث غلظهُ ولا من حيث بياضهُ ولا من حيث نضارتهُ ولذلك لا يباع غاليًا مثل الهليون الذي يؤْتى بهِ من اوربا . واذا امكن ان يزرع في القطر المصري ويكون ابيض غليظًا طريئًا مثل الهليون الذي يرد من اوربا فمنهُ ايراد وافر جدًّا اكثر من ايراد كل زراعة اخرى . نعم انهُ لا يمكن ان تزرع زراعات واسعة منهُ لان مقطوعيتهُ محدودة في هذا القطر ولكن اذا كثرت زراعتهُ ورخص ثمنهُ فلا يبعد ان يصدر منهُ الى اوربا بدل ما يرد منها الآن وسوقهُ رائجة في اوربا فيكون منهُ ربح وافر جدًّا

ويجود الهليون قرب الشطوط البحرية اكثر ممَّا يجود في داخليَّة البلاد اذا تساوت وسائل الزرع والتسميد ولكن اذا بذلت العناية التامة في الزرع والتسميد في داخليَّة البلاد بعيدًا عن البحر جاد فيها ايضًا

والارض التي يزرع فيها يجب ان تكون رمليَّة ومن اجود الاراضي الرملية وان تسبخ التسبيخ الكافي سنويًّا فاذا تمَّ لها ذلك بقي يجود فيها عشرين او ثلاثين سنة . ويراد بالارض الرملية ما كان الرمل فيها اكثر من الطين لا ما كانت رملًا صرفًا

ولا بدَّ من حرث الارض التي يزرع فيها حرثًا عميقًا جيدًا وان تسمَّد قبل الزرع بسماد كثير من السباخ البلدي والجوانو وما اشبه ويجاد حرثها حتى ينعم ترابها جيدًا

وتخطط الارض خطوطًا بين الخط والآخر نحو اربعين سنتمترًا وعمق الخط خمسة سنتمترات ويزرع البزر فيها في اواخر فصل الشتاء حينما يصير يمكن عزقها . والنبات الذي ينبت من هذه البزور اما ان يراد نقلهُ وعمرهُ سنة او يراد نقلهُ وعمرهُ سنتان فاذا اريد نقلهُ وعمرهُ سنة يخفف بعدما ينبت حتى يبقى بين النبتة الواحدة والاخرى سبعة سنتمترات واذا اريد نقلهُ وعمرهُ سنتان لا يخفف مادام زرعهُ منتظمًا

ويعزق النبات بعزَّاقة صغيرة بعدما ينبت وتنزع منهُ الاعشاب باليد ثم يخفَّف اذا اريد

غرسهُ وعمرهُ سنة ويعزق ثانية بعد اسبوعين ولا بدَّ من ابقائهِ نقيًّا من الاعشاب كل فصل الربيع والصيف واذا ترك في مكانهِ السنة الثانية فلا يحتاج في الربيع والصيف التاليين الاَّ العزق ونزع الاعشاب

والرطل من البزر ينبت منهُ عشرة آلاف نبتة . ويمكن ان يزرع الهليون من فراخ تشترى من مربي الجنائن اختصارًا في الوقت ويغرس الهليون في كل الاراضي ولكن الاراضي الرملية اصلح لهُ من غيرها بشرط ان تكون عميقة التربة جيدتها لان جذورهُ تغور في الارض الى عمق عميق وكلما زاد خصب الارض زاد نموهُ فيها ولا بد من حرثها حرثًا عميقًا جيدًا في فصل الخريف ثم تمهَّد حتى ينعم ترابها وتسبخ بالسباخ البلدي في الربيع يضاف الى الفدان ستون او سبعون حملاً او قنطاران من دقيق العظام او النصف من الاول والنصف من الثاني ثم تحرث حرثًا عميقًا وتزحف ويضاف اليها السماد مرةً ثانية اذا كان خصبها قليلاً

غرس الهليون — يمكن غرس الهليون في الخريف ولكن يفضل ترك الخريف والشتا لزيادة اعداد الارض ثم يغرس في اول الربيع. وهو يغرس حينئذٍ على ابعاد متساوية من قدم ونصف الى ست اقدام وقد قال المستر برل الاميركي في كتابهِ عن الحقول والبساتين انهُ وجد بالاختبار ان بُعد خمس اقدام بين الخطوط اصلح من غيرهِ بشرط ان تكون الارض محروثة حرثًا عميقًا جيدًا ومسمدة كما يجب فيجعل البعد بين الخطوط خمس اقدام وعمقها ثماني عقد ويجعل البعد بين غرس وغرس قدمًا ونصف قدم ويزرع الغرس وتبسط جذورهُ وتغطى بالتراب ويلبد ويطمر الغرس كلهُ حتى يعلو التراب عقدةً فوق رأسهِ . فاذا غرس الهليون على هذه الابعاد وسع الفدان ٥٥٠٠ غرس

وطول القرمية الى آخر رأسها نحو عقدتين فاذا جعل سمك التراب فوقها عقدة بقيت ست عقد تحت سطح الارض اي بقي فوقها ست عقد من الحفرة التي زرعت فيها وحينما يفرخ النبات يتعهد بالعزق ويكرَّر ذلك في فعل الصيف حتى تمتلئ الخطوط واذا جاء فصل الخريف صارت الارض مستوية

وفي الخريف يوضع السماد في الخطوط وتحرث الارض على جانبي كل خط ثم تمهد ثانية في الصيف التالي بالعزق وتنزع منها الاعشاب . وفي الخريف الثاني تحرث الخطوط على الجانبين ويضاف اليها سماد مختمر جيدًا او مسحوق العظام وتحرث ثانية حتى يعود التراب الى فوق الخطوط . وتعزق في الربيع حتى تكاد تستوي . ويظهر الهليون حينئذٍ وتقطع منهُ الفروخ الكبيرة ولكن لا يقطع كثير منها لئلاَّ يضعف النبات

ثم يحرث في الصيف كما حرث اولاً ويسمد في الخريف ويكرر حرثهُ في الصيف وتسميدهُ في الخريف كل سنة ويعزق في الربيع حتى ينعم ترابهُ ويكوَّم فوق الاغراس واذا بقيت منهُ اغراس كبرت وازهرت وجب قطعها قبلما يتكوَّن فيها بزر لئلاَّ يقع البزر منهـا على الارض وينبت فيها فيتلف الاغراس

ويضاف الى الارض ملح في السنة الثالثة يذر على الفدان نحو اردب منهُ او يمزج بالسباخ ويوضع في الخطوط ولا ضرر اذا زيد الملح كثيرًا حتى تغطت بهِ الارض اما اذا كانت الارض ساحلاً بحريًا يتخلل الملح هواءه فلا داعي لاضافة الملح اليها

وتقطع فروخ الهيلون في اواسط الربيع ويكون قطعها اولاً ثلاث مرات في الاسبوع ثم تقطع كل يوم مرةً او مرتين وتحزم حزماً وتوضع في السلال واقفة على كعوبها ولا توضع وضعاً آخر لئلاَّ تتلف

وهي تقطع حينما يصير ارتفاعها ست عقد فوق سطح الارض فتقطع على اربع عقد تحت سطح الارض فيكون طولها عشر عقد وهو الطول الكافي عادة وتحزم بقشر عريض حتى لا تتجرَّح

ويبزر الهيلون حينما يصير عمرهُ سنتين وثمرهُ قرمزي اللون اذا نضج في الثمرة منهُ ثلاث بزرات الى ست وحينما ينضج يقطع الغصن الذي هو فيهِ ويمرث ثمرهُ حتى يخرج البزر منهُ ويوضع في الماء فيغرق البزر ويطفو الرب الذي كان حولهُ. ويكرَّر غسل البزر حتى ينظف جيداً ثم يجفف في الشمس وفي الهواء وهو ينبت اذا زرع بعد سنة او سنتين الى ثلاثة

زراعة الموز

من مقالة للمستر بونابرت من اساتذة المدرسة الزراعية الخديوية

يزرع في القطر المصري اربعة انواع من الموز

الاول البلدي وتعلو شجرتهُ نحو ١٤ قدماً وهو كثير الانتشار في حدائق القاهرة وثمرهُ قصير ثخين خالٍ من البزر يبلغ طولهُ اربع عقد الى خمس ولونهُ ضارب الى الخضرة ولبهُ كثير السكَّر عطري الرائحة وينضج ثمرهُ من ابتداء الخريف الى اوائل الربيع

الثاني اصابع الست وثمرهُ صغير قصير يبلغ طولهُ ثلاث عقد وليس فيهِ بزر وهو دقيق منحنٍ ولونهُ اصفر ذهبي من الخارج وهو اقل ثمناً من الموز المتقدم واكثر وجودهِ في الخريف

الثالث الموز الصيني او الهندي وثمرهُ منحنٍ كالهلال دقيق طويل طولهُ نحو خمس عقد الى ستة وقشرتهُ صفراء غليظة ولبهُ خالٍ من البزر وطعمهُ لذيذ جدًّا ورائحتهُ طيبة وشجرهُ قصير

جدًّا وقد نجحت زراعتهُ في القطر المصري وانتشر زرعهُ في ضواحي الاسكندرية في ناحيتي القباري والرمل وعلى طول الترعة المحمودية وسيصير الوحيد في القطر المصري لانهُ اجود من غيرهِ وقشر اثمارهِ متين فيسهل اصدارهُ الى الخارج

الرابع الموز الاميركاني وثمرهُ كبير جدًّا يبلغ طولهُ من ٧ قراريط الى ١٤ قيراطاً وفيهِ بزور وهو قليل السكر فلا طعمهُ لذيذ ولا رائحتهُ طيبة فلا يصلح الاَّ للطبخ

وزراعة الموز من الاعمال الزراعيَّة الوافرة الربح وهي الآن محصورة في الحدائق ولكن ينتظر ان يتسع نطاقها فتشمل جانباً كبيرًا من الاراضي الزراعيَّة

الارض الموافقة لهُ — ينمو الموز في كل الاراضي ولا سيما الطينية الرملية الكثيرة الغذاء والمسام

كيفية غرسهِ — يُغرس من الفسائل او الخلفة وهي الفروع التي تتولد عند اصل شجر الموز والاحسن ان تقلع صغيرة وطول الواحدة منها ثلاث اقدام ونصف الى اربع ونصف او خمس حسب نوع الموز ويجب ان تكون نامية من اشجار سليمة ينضج موزها باكرًا . وتحرث الارض جيدًا وتحفر فيها حفر البعد بينها من ٨ اقدام الى ١٢ قدماً ويكون البعد بين الخطوط من ١٠ اقدام الى ١٣ قدماً وتكون الحفر على طول قناة الري عمقها ٤٠ سنتيمترًا ويوضع في الحفر قليل من السباخ البلدي المختمر جيدًا ويطمر من الخلفة قدم ويداس التراب حولها جيدًا حتى لا يتخللهُ الهواء ويجفف الاصل المطمور والجذيرات حال نموها . ويزرع في الفدان ٣٥٠ شجرة ثمن كل شجرة منها من غرش ونصف الى غرشين . ويصلح الزرع في كل شهر من شهور السنة وافضل الاوقات من منتصف فبراير الى آخر مارس

الخدمة اللازمة — ينمو الموز بسرعة ويثمر في آخر السنة الثانية من زرعهِ وتتولد الفسائل (الخلفة) عند اصلهِ فيترك منها ثلاث فسائل او اربع ولا بدَّ من عزق ارضهِ حول اصولهِ وتسميدها بالسباخ البلدي المختمر جيداً كل عام وتقطع شجرة الموز حينما يقطع ثمرها وتترك واحدة من فسائلها مكانها ويدوم ذلك ما دام الثمر جيدًا فاذا ظهر فيهِ ضعف تقلع القرمية كلها ويزرع موز جديد بدلاً منها

الري — يحتاج شجر الموز الى ري كثير فيروى حينما يزرع ثم يروى بعد ذلك في فترات قصيرة الى ان تثبت جذورهُ في الارض . ومتى ظهر ثمرهُ يروى في فترات طويلة ولا بد من ان يكون في الارض مصارف تصرف المياه بها

الجني — يجنى الموز قبلما ينضج جيدًا ويعلق في مكان مظلم او بين التبن حتى يتم نضجهُ ويحلو طعمهُ وتطيب رائحتهُ

السماد ووزن القطن

ابنا غير مرة ما كان من فعل السماد الكيماوي في مقدار غلة القطن ولم نبين هناك مقدار تأثيرهِ في تصافي القطن اي فيما نتج من القطن الشعر من كل قنطار قطن . وقد بيَّن المستر فودن في مقالة نشرها حديثاً ان الخواجات خريمي وبناكي وشركاءهم حلجوا لهُ انواع القطن المسمدة على اساليب مختلفة كل نوع على حدة فوجد تصافي القطن الينوفتش المزروع في ميت الديبة على ما في هذا الجدول

اسم السماد	الجنية الاولى	الثانية
السباخ البلدي	٩٤ ٣/٤	٩٨
اعلى فصفات البوتاسا	٩٦ ١/٢	٩٨ ٣/٤
اعلى فصفات البوتاسا ونيترات الصودا وكبريتات النشادر	٩٧ ١/٢	١٠٠ ١/٤
من غير سماد	٩٥	٩٧ ٣/٤

اما القطن المزروع في الجيزة وهو من الميت عفيف فبلغ صافي المزروع بعد الذرة مسبخاً بالسباخ البلدي ١٠٤ ١/٢ ومسبخاً بالاسمدة الكيماوية من النيترات والفصفات ١٠٦ ١/٢

ويستدل من ذلك كلهِ ان السماد الكيماوي يزيد التصافي نحو رطلين في القنطار سواء كانت الارض قوية كارض الجيزة او ضعيفة كارض ميت الديبة

موسم القطن

بلغ الوارد الى الاسكندرية من الموسم الماضي حتى الرابع والعشرين من يوليو ٥٧٠٠٠٠٧ اي خمسة ملايين وسبع مئة الف قنطار وذلك اقل مما ورد في العام السابق بنحو سبع مئة وسبعين الف قنطار . وقد زاد المتصدر الى انكلترا نحو مئة وسبعين الف قنطار ونقص المتصدر الى اوربا نحو سبع مئة الف قنطار وكذلك نقص المتصدر الى اميركا ١٦٥ الف قنطار

اما الموسم الحاضر فاسعارهُ تتراوح حوالي ١٤ ريالاً . هذه هي اسعار الكنتراتات و يضاف اليها ثمن البزرة . ويرجح جمهور الباحثين انهُ سيفوق الموسم الماضي في مقدارهِ ولكنهُ ينقص عن الموسم الذي قبلهُ فيبلغ ستة ملايين وربع ويقدرهُ المبالغون في جودتهِ بسبعة ملايين والمبالغون في رداءتهِ بستة ملايين

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الخزان والهواء

اسيوط · جورجي افندي خير · هل يطرأ تغير على الطقس في اصوان واسيوط في مستقبل الايام بسبب انشاء الخزانين فيهما

ج لا يحتمل ان يطرأ تغير على هواء (طقس) اسيوط لان تبخر الماء فيها من الخزان لا يزيد كثيرًا عما كان يتبخر من النيل قبل انشاء الخزان · اما اصوان فلا يبعد ان تتغير حرارة هوائها بعض الشيء لان الخزان ولَّد فوقها بحيرة كبيرة واسعة السطح فيزيد التبخر منها في فصلي الربيع والصيف عما كان قبلاً زيادة كبيرة

(٢) الاحلام

ومنهُ . يحلم الانسان في بعض الاحيان حلمًا وهو نائم ثم يستيقظ ويسرد كل ما شاهدهُ في حلمهِ فهل كانت قوة العقل اثناء الحلم في حالة الصحو فلم يأخذ العقل الراحة المطلوبة لتجديد قواهُ او كانت في حالة النوم والنوم موت قصير المدة يفقد المرء فيهِ جميع الاحساسات فكيف يفتكر من كان فاقدًا للحركة والشعور

ج لا يحلم الانسان وهو مستغرق في النوم بل وهو في الدقائق الاخيرة قبلما يستيقظ تمامًا اي حينما يكون بعض قوى عقلهِ نائمًا والبعض الآخر مستيقظًا اما ما يظنهُ من ان الحلم دام ساعات كثيرة فوهم والحقيقة انهُ لا يدوم اكثر من بضع ثوانٍ او دقائق لان الانسان قد يغفل خمس دقائق فقط فيحلم فيها حلمًا طويلاً كثير الحوادث وقد يسمع صوت مدفع قبلما يستيقظ فيبني عليهِ معركة حربية كثيرة الوقائع ولا تكون المدة من حين سمع صوت المدفع الى ان استيقظ سوى دقيقة من الزمان

(٣) هل الحب اختياري

ومنهُ · هل الحب اختياري او اضطراري

ج اضطراري بمعنى انهُ اثر في النفس لازم عن مؤثرات في الخارج لكن الارادة القوية تتصرف في هذا الاثر فتزيدهُ او تضعفهُ كأنها تحرك تأثيرات اخرى تساعد التأثير الاول او تقاومهُ

(٤) حلم في حلم

مصر . عطا افندي فهمه . حلمتُ مرةً حلمًا وحلمتُ في آخرهِ انني استيقظت وقصصت الحلم على احد اصحابي ففسَّرهُ لي ومضيت الى حيث اشتغل فوقع لي تفسير الحلم كما فسرهُ لي تمامًا. ثم استيقظت من نومي حقيقةً وتذكرتُ كل ما كان واستغربتهُ فكيف يقع للانسان انهُ يحلم ثم يحلم انهُ قصَّ حلمهُ على من فسَّرهُ لهُ وتمَّ التفسير كما فسرهُ

ج ان الاحلام من قبيل الهواجس التي نهجس بها ونحن بين النوم واليقظة او من قبيل الافكار التي نفتكر بها في النهار فان الانسان وهو جالس في القاهرة يفتكر احيانًا بصديق لهُ مقيم في الاسكندرية مثلاً وينتقل فكرهُ حالاً اليها فيتصورها ويتصور نفسهُ فيها وانهُ يرى اصدقاء آخرين ويذاكرهم في بعض الشؤُون ويوافقهم او يخالفهم الخ الَّا انهُ اذا كان مستيقظًا كانت قوة الحكم فيهِ مستيقظة فتصلح خطأ الوهم ويبقى مقتنعًا انهُ في القاهرة لا في الاسكندرية وان ما تصوَّرهُ افكار لا حقيقة لها واما اذا كان غافلاً او نائمًا كانت قوة الحكم فيهِ نائمة عن قضاء عملها فلا تصلح خطأ وهمهِ فيعتقد ان ما تخيَّلهُ واقع حقيقة . فاذا كنتم تهجسون في الاحلام وتفسيرها فلا يبعد انكم تحلمون بذلك كما لا يبعد انكم تفتكرون بهِ وكل ما يُحتمل ان يفتكر بهِ الانسان يحتمل انهُ يحلم بهِ ايضًا

(٥) امتناع البلى

مصر . الخواجا ميخائيل يساراني واولادهُ قرأنا في جريدة الوطن مقالة رواها احد القادمين من الحبشة الى القطر المصري قال انهُ لما وصل هو ورفاقهُ الى الصحراء التي بين رايبلي وكيلوبي ضربوا خيامهم ليستريحوا من وعثاء السفر وارسلوا الخدم لقطع الاخشاب لاشعالها اثناء الليل حتى لا تقترب الضبع من مواشيهم وبينما كان خادمان صاعدين الى شجرة رأيا حبشيين مائتين فرجعا بعد قطع الخشب واخبرا بالذي شاهداه فذهب صاحب المقالة مع الخادمين لرؤية ذينك الميتين فوجدوهما صلبين كالخشب ومع مضي السنين على موتهما لم تنتفخ اوداجهما ولم يمسهما الدود باذًى وقد كان معهم طبيب غربي فعجب لرؤيتهما على تلك الحال مع مضي الاعوام على وفاتهما من غير ان يشوه الموت وجهيهما فما قولكم في صحة هذه الحادثة الغريبة

ج لا محل للريب في ان جثة الميت تحفظ من البلى اذا كانت في قفر ليس فيهِ ميكروبات الفساد ولا حشرات تأكل اللحم هي او ديدانها لان بلى الاجسام الميتة لا يحدث الَّا من ذلك اي ان ميكروبات الفساد تسطو عليها وتحللها والحشرات التي تأكل اللحم كالنمل او تأكل ديدانها اللحم كالذباب تسطو عليها ايضًا ولا تبقى الَّا العظم فاذا كانت الارض قفرًا جاف الهواء فالغالب ان الاحياء

الصغيرة كالميكروبات والنمل و لذباب لا تعيش فيها وكذا اذا كان شديدة البريد كالاصقاع الشمالية المتجمدة فان الحيوانات التي يطمرها الثلج فيها تبقى سنين كثيرة محفوظة من البلى ولذلك نرجح صحة الرواية التي اشرتم اليها لاننا لا نرى سبباً علمياً للريب فيها

(٦) الكنة والحماة

ومنهم . لماذا تبغض الكنَّة حماتها والابنة امها ويبغض الابن اباهُ واعداء الانسان اهل بيتهِ . فهل ذلك ناتج عن سوء التربية منذ الصغر او هو امر طبيعي مغروس في فطرة الانسان

ج ان ما هو مغروس في فطرة الانسان مخالف لذلك الاَّ من حيث الكنَّة وحماتها. فان الواقع هو ان الابنة تحب امها حتى تكاد تفتديها بنفسها والابن يحب اباهُ ويتجشم اشد المشاق لاجلهِ وما من احد يسهر على المرأة وهي مريضة مثل ابنتها ولا احد يهتم بخلاص الرجل من ضيقتهِ مثل ابنهِ وما شذَّ عن ذلك فسببهُ الغالب فساد التربية . اما الكنَّة وحماتها فسبب الخلاف بينهما تناظرها في محبة زوج الكنة ابن الحماة والتسلط على بيتهِ فان كلا منهما تشعر ان الاخرى تحاول سلبها شيئاً ممَّا يحق لها ولو كان ذلك وهماً

(٧) مدة سبي بابل

ومنهم . كم كانت مدة سبي بابل

ج سبعين سنة كما تنبأَ عنها النبي ارميا فقد جاءَ في سفرهِ ما نصهُ "هانذا ارسل آخذ كل عشائر الشمال يقول الرب والى نبوخذراصر عبدي ملك بابل واتي بهم على هذه الارض وعلى كل سكانها .... وتصير كل هذه الارض خراباً ودهشاً وتخدم هذه الشعوب ملك بابل سبعين سنة" . وجاء في سفر دنيال ما نصهُ "في السنة الاولى لداريوس ابن احشويروش ... انا دانيال فهمتُ من الكتب عدد السنين التي كانت عنها كلمة الرب الى ارميا النبي لكمالة سبعين سنة على خراب اورشليم" ويتلو ذلك الكلام عن صلاة دانيال واجابة الرب

---

(٨) صناعة الخياطة

بيروت . جرجي افندي نقولا باز . قرأنا في بعض الجرائد انهُ تألفت شركة اميركيَّة تنوي انشاء محلاَّت للخياطة في عواصم اوربا الكبيرة وادخال الزي الاميركي اليها فهل فاق الصنَّاع الاميركيون الاوربيين في صناعة الخياطة واين يمكن تعلم هذه الصناعة تعلماً متقناً جداً

ج كلاَّ ولم نسمع ان الاميركيين يدَّعون هذه الدعوى بل هم وغيرهم يعترفون لخياطي باريس بالسبق ولكن يحتمل ان يكون المراد انشاء محلات كبيرة للخياطة في عواصم اوروبا برأس مال اميركي لاجل الربح التجاري . وقد اشتهرت باريس وڤينا ولندن بمهارة خيَّاطيها فالتعلم في واحدة منهنَّ يفي بالغرض

(٩) آلة الابصار

الزقازيق . عبد الحميد افندي علي . اطلعنا في الجرائد المحلية على ذكر آلة اخترعها الدكتور بيترستننس تجعل العمي يبصرون حتى من كان اعمى من ولادته فهل ذلك صحيح ؟

ج كلاَّ ولكن العمي يدركون ما حولهم بغير حاسة البصر وقد ادَّعى بعضهم انهُ صنع آلة كهربائية تتأثر بامواج النور وتوضع على صدغ الاعمى فيشعر بتأثرها من امواج النور حتى اذا تدرَّب على هذا الشعور فقوي فيهِ صار يدرك سببهُ . الَّا ان ذلك كلهُ لا يزال في معرض البحث ولم يتقرر حتى الآن

---

(١٠) جمال الانكليزيات

بيروت . احد المشتركين . قرأت في مقتطفكم الزاهر السنة الماضية قولكم "المشهور ان نساء الانكليز اجمل النساء منظرًا" ولم اسمع ان احدًا قال ذلك قبلكم والمعروف عن الجميع ان الانكليزيات اقلّ جمالاً من غيرهنَّ من نساء اوربا فما هو برهانكم على انهنَّ اجمل من غيرهنَّ ؟

ج ان الباحثين في موضوع الجمال يقولون القول الذي ذكرناهُ فان كنتم قد وقفتم على بحث باحث ثقة خالف ذلك فاتحفونا بهِ لكي ننشرهُ في المقتطف

(١١) صحة السيمياء

ومنهُ . اراكم تنفون السيمياء وتقولون انها مثالات خيالية وهمية . وقد شاهدت امرًا اقصهُ عليكم وهو اني رأيت في احد الملاعب رجلاً اخذ ردائي ولبسهُ وجلس على كرسي في منتصف الملعب امام الجمهور وقال اربطوا يديَّ ربطاً وثيقاً بالكرسي فربطناهُ وكنا ثلاثةً اقمنا ثلاث دقائق نربطهُ ثم أُلقي عليهِ غطاءٌ اسود وفي اقل من عشر ثوانٍ رفع عنهُ الغطاء واذا بردائي في يد رجل واقف والرجل المربوط جالس على الكرسي كما كان فلبست ردائي واذا هو هو بعينهِ ثم خلعتهُ واعطيتهُ للرجل الواقف وأُلقي الستار على الرجل المربوط ثم كُشِفَ عنهُ فاذا هو لابس ردائي كما كان اولاً ففككنا يديهِ ورجليهِ واخذنا الرداء منهُ . وانا اعلم ان ما حدث لم يحدث بقوة سحرية ولكن كيف حدث ان لم يكن بالسيمياء

ج للمشعوذين اساليب كثيرة في اجراء هذه الحيلة وامثالها سنأْتي على تفصيلها في فرصة اخرى

(١٢) نمو الشعر

ومنهُ . قرأت في المقتطف غير مرة انهُ اذا تكرر قلع الشعر مرارًا كثيرة لم يعد ينمو وقد كررت قلع شعرة كذلك ولا تزال تنمو فما هو السبيل الى منع نموها

ج السبيل الاكيد لمنع نمو الشعر ان تحرق بصلتهُ بابرةٍ كهربائيةٍ

(١٣) الحقد المسبب عن الاديان

طنطا . الخواجا جوزف دهان . هل يزول يوماً ما الحقد الذي توجدهُ الديانات المختلفة

ج متى تعلَّم الناس وتهذَّبوا انكروا ان في الدين الذي يدينون بهِ شيئاً يوجب ايغار الصدور بالحقد واوَّلوا ما يحمل منهُ هذا المحمل حتى لا يقال انهم يدينون بشيءٍ يناقض ما يقتضيهِ ارتقاء الانسان . ويظهر من امعان النظر في المخلوقات من اول تاريخها الى الآن ان الارتقاء سنَّة طبيعيَّة شاملة لها فلايبعد ان يصل بهِ الناس الى حالة ينتفي فيها الحقد وغيرهُ من الشرور التي تدعو الى التأخُّر

(١٤) فائدة الاديان

ومنهُ . ما قولكم في الاديان بنوع عام هل افاد تشعُّبها تقدُّم النوع الانساني او اخَّرهُ

ج تتعذَّر مقارنة شيءٍ موجود بشيءٍ غير موجود فاذا عاش الناس حصَّة من الدهر على دين واحد غير متشعب وروقب تقدمهم فيها امكن مقارنة ذلك بتقدُّمهم واديانهم متشعبة والاَّ فلا . ولا يخفى ان الدين او التديُّن اسم لجميع ما يتعبَّد بهِ من محبة المعبود والخضوع لهُ والاتكال عليهِ والخوف منهُ والشكر لهُ كما عرَّفهُ دارون في كتابهِ اصل الانسان فاذا كان المعبود موصوفاً بكمال الحنو والرحمة والعدل وبانهُ أب لبني البشر شفوق عليهم كما هو في اكثر الاديان الشهيرة فلا بدَّ من ان ترقي عبادتهُ عبادهُ وتؤلف بين قلوبهم والاَّ ففيها خلل او في فهمها خطأٌ

---

(١٥) تاريخ الحشيش

دمياط . عبد الغني افندي الجمال . نرى ان بلوى الحشيش قد عمت ومصابهُ تعاظمت فنرجو ان تخبرونا بالتفصيل عن منشإهِ وتاريخهِ .

ج لقد كتبنا مقالتين مسهبتين في هذا الموضوع الواحدة في المجلد السابع عشر صفحة ٥٨٣ والثانية في المجلد السابع والعشرين صفحة ١٠٩ فعليكم بمراجعتهما . اما سؤالكم الآخر فسنجيب عنهُ بالتفصيل قريباً

---

(١٦) هوَس العلماء

النبطية . احمد افندي عارف الزين اجبتم عن سؤال في الجزء الاول من المجلد الثامن والعشرين ان من يصدق باستحضار الارواح من العلماء لا يخلو عقلهُ من هوَس او خلل . فكيف ذلك وبلغنا ان المعتقدين باستحضار الارواح من جلة العلماء

ج اننا عللنا ذلك في الجواب الذي تشيرون اليهِ . وذكاء العقل وتفوقهُ في بعض العلوم لا يوجب ان يكون على تمام الصحة في كل شيءٍ بل قد يكون على الضد من ذلك للسبب الذي ذكرناهُ هناك

باب الاخبار العلمية

غرائب العمق

مَن رأى علماء اوربا والمسالك المترامية التي يسلكونها في خدمة العلم يقول انهم مسخَّرون لذلك تسخيرًا لا ينتظرون اجرًا ولا شكورًا فبينا نرى علماءنا يهملون ما بين ايديهم وما تتوقف عليهِ دنياهم ترى اولئك العلماء يبحثون في طبقات الجو واعماق البحر عن شيءٍ جديد يضيفونهُ الى معارف الناس . والبحث في اعماق البحر بلغ حدًّا قاصيًا جدًّا في السنين الاخيرة حتى سخَّروا لهُ البوارج الحربيَّة وطافوا لاجلهِ الاقطار الشاسعة من القطبين الى خط الاستواء واستنبطوا جرافات تغوص الى اعمق الاغوار وتصعد بما فيها من حيوان ونبات وجماد. ومعلوم انها تمرُّ في قاع البحر كالطيور والقواطع ولا تجرف منهُ الَّا جزءًا صغيرًا جدًّا لا يبلغ واحدًا من مليون مليون ممَّا فيهِ ومع ذلك وجد في ما استخرجتهُ جرَّافات سفينة واحدة نحو الفي نوع جديد وثلثمئة جنس من الاجناس الجديدة . وجرَّافة عرضها بضع اقدام لا ينتظر ان تجرف الحيوانات الكبيرة كالحيتان والتنانين ولذلك لم يجرف بهذه الجرافات الَّا الحيوانات الصغيرة لما ارسلت سفينة البترس الانكليزية الى الاوقيانوس الباسيفيكي منذ عامين استخرجت حيوانات مائية حية عن عمق اربعة اميال ونصف والماء هناك بارد كالثلج وضغطهُ شديد جدًّا يبلغ اربعة اطنان ونصف طن على كل عقدة مربعة

وقاع الاوقيانوس عميق جدًّا يبلغ عمق نصفهِ اكثر من ميلين ويبلغ عمق بعضهِ اربعة اميال او خمسة وهو كثير المرتفعات والمنخفضات كوجه الارض وفيهِ جبال شامخة تظهر لنا جزائر صغيرة قائمة فوق وجه الماء وما هي الَّا رؤُوس جبال شاخصة من جوف البحر مثال ذلك ان البركان مونا كيا ارتفاعهُ فوق سطح البحر نحو ثلاثة اميال وهو غائر في الماء ثلاثة اميال اخرى فارتفاعهُ الحقيقي نحو ستة اميال. ويبلغ غور البحر في بعض الاماكن نحو ستة اميال وارتفاع بعض الجبال البارزة منهُ نحو اربعة اميال فالفرق بين اعلى جبال البحر واخفض اغوارهِ نحو عشرة اميال فعمق البحر اعظم من ارتفاع البر واذا جمع البر من قارات الارض كلها ورمي في الاوقيانوس الباسيفيكي لم يملأ سبعهُ

اكبر المعامل الكيماويَّة

في بادن بالمانيا اكبر معمل كيماوي في

الدنيا ففيهِ ٦٠٠٠ عامل و١٤٨ كيماويًّا و٧٥ مهندسًا و٣٠٥ كتَّاب. والمباني في هذا المعمل ٤٢١ ويتبعها ٥٤١ مسكنًا لسكن العمال و٩١ مكتبًا وفيهِ ٢٥٣ آلة بخارية قوتها ١٢٦٠ حصانًا و٢٧ ميلاً من سكك الحديد و٣٨٧ مركبة لنقل المواد الكيماوية

عدد سكان الصين

ظهر الاحصاء الرسمي لسكان الصين واذا فيهِ ان عدد سكان الصين الاصلية ٤٠٧ ملايين نفس وعدد التابعين لها ١٩ مليونًا وجملة السكان ٤٢٦ مليونًا . واكثر ولاياتها سكانًا هونان وفي الكيلومتر المربع منها ٢٠٠ نفس فهي اقل ازدحامًا من بلجكا لان عدد السكان في الميل المربع من بلجكا ٢٢٠ نفسًا

آثار ابيدوس

من اهم ما كشفهُ علماء الآثار المصرية هذا العام في ابيدوس آثار عشرة هياكل بني الواحد منها على انقاض الآخر في مدة ٤٥٠٠ سنة اي من سنة ٥٠٠٠ قبل التاريخ المسيحي الى سنة ٥٠٠ قبلهُ وهناك ادلة على ان الهيكل الذي كان في عهد الدولة الرابعة من الدول المصرية خرب وابطلت منهُ الذبائح الدينية فجاء ذلك مؤيدًا لما قالهُ هيرودوتس المؤرخ وهو ان الملك خوفو باني الهرم الاكبر اقفل الهياكل وابطل الذبائح . ووجد تمثال من العاج لهذا الملك وهو اول تمثال كشف لهُ حتى الآن

مقدار الذهب

قدّرت دار الضرب في اميركا مقدار الذهب الذي استخرج من الارض كلها منذ اكتشاف اميركا الى سنة ١٩٠٠ بما يساوي ٢٠٠٠ مليون جنيه وهي تزن ١٦٢٧٢ طنًّا واذا سبكت برجًا اسطوانيًّا قطر دائرهِ ٢ قدمًا بلغ ارتفاعهُ ٨٦ قدمًا ويزيد ارتفاعهُ الآن نحو متر كل سنة بما يستخرج سنويًّا من الذهب

مقاومة البعوض في الاسمعيلية

كتب سكرتير ترعة السويس العام الى الماجور روس يقول ما ترجمتهُ انا اتبعنا مشورتكم في ردم الحفر والخنادق وسكب الزيت في الصهاريج والبرك ومنع المستنقعات على انواعها من جهات الاسمعيلية ووزعنا الكينا والاستركنين على السكان مجانًا منذ شهر ابريل سنة ١٩٠٢ فقلت الحمَّى منذ دسمبر الماضي بالنسبة الى ما كانت عليهِ في السنين الماضية ولم يستأصل بعوض الملاريا حتى الآن ولكن الذي مُسك منهُ وُجد خاليًا من العدوى كأنهُ لم يجد سبيلاً لاخذ العدوى من احد لقلة حوادث الحمى . وقلَّ البعوض العادي حتى كاد يزول تمامًا وصار يسهل على الانسان ان ينام من غير ناموسية (كلة) ولا يمكن الحكم البات في نتيجة هذه الاعمال

قبل مضي شهر اغسطس ونوفمبر اللذين تكثر الملاريا فيهما ولكننا نرجو ان الوسائل التي اشرت بها لا تبقي للملاريا اثرًا في مدينة الاسمعيلية

الراديوم والسرطان

قيل ان الدكتور غوسنبور النمسوي جرَّب فعل اشعة الراديوم بالسرطان فوجد انها تشفيهِ تمامًا

سمك النيل

اهتمت الحكومة المصريَّة بالبحث عما في النيل من انواع السمك واناطت بعض رجال العلم بذلك وكانت انواع السمك المعروفة في النيل تسعين نوعًا فاكتشف عشرة انواع جديدة

الراديوم والميكروبات

اطَّلعنا على صور مستنبتات ميكروبيَّة عُرِضت لاشعَّة الراديوم فماتت الميكروبات التي فيها حيث وقعت الاشعة عليها وبقيت نامية متكاثرة حول ذلك الاَّ ان مدة التعرض لاشعة الراديوم طويلة من ست عشرة ساعة الى اربع وعشرين ساعة

مستقبل عواصم اوروبا

حسب بعضهم ما سيبلغهُ سكان العواصم الكبيرة في اوروبا واميركا سنة ١٩١٠ وسنة ١٩٢٠ اذا بقي نموها جاريًا مجراهُ فكان كما في هذا الجدول

١٩١٠	
لندن وضواحيها	٧٤٩٠٤٠٠
نيويورك وضواحيها	٤٩٥٣٠٠٠
باريس وضواحيها	٤١٣٩٩٩٠
برلين وضواحيها	٢٩١٤٥١٧
شيكاغو وضواحيها	٢٥٧٤٢٢٩
فيلادلفيا	١٦٩٧٤٠٠
بطرس برج	١٣٣٩٧٢٨
١٩٢٠	
لندن وضواحيها	٨٥١٦٢٥٦
نيويورك وضواحيها	٦١٩١٢٥٨
باريس وضواحيها	٤٧٥٩٥٨٩
برلين وضواحيها	٣٣٢٢٥٤٩
شيكاغو وضواحيها	٣٤٧٥٢٠٩
فيلادلفيا وضواحيها	٢٠٠٢٩٣٢
بطرس برج	١٥٠٠٤٩٥

وقد كان عدد السكان في هذه المدن سنة ١٩٠٠ هكذا

لندن وضواحيها	٦٦٥٢١٤٥
نيويورك وضواحيها	٣٨٣٣٩٩٩
باريس وضواحيها	٣٥٩٩٩٩١
برلين وضواحيها	٢٥١٢٢٥٣
شيكاغو وضواحيها	١٨٣٨٧٣٥
فيلادلفيا	١٣٦٩٦٣٢
بطرس برج	١١٣٢٦٧٧

وعدد السكان في الميل من مدينة باريس ٧٩٣٠٠ ومن برلين ٦٧٦٠٢ ومن نيويورك

٤٠٠٠ ومن لندن ٣٧٠٠٠ ومن بطرس برج ٢٨٢٦٠ الاَّ ان الازدحام يبلغ اشدَّهُ في بعض الاحياء من نيويورك حيث يبلغ عدد السكان ٦٣٠٧٤٠ في الميل لكن ذلك محصور في ثلاثة افدنة ونصف ويبلغ ١٣٢٠٠٠ في مدينة لندن وذلك في ٣٥٧ فداناً

اكبر عائلة

اكبر عائلة في العالم عائلة ملك سيام فان لهُ زوجتين شرعيتين وثمانيًا وثمانين سرية واثنين وسبعين ولدًا

طعام الملوك

لامبراطور الالمان غرام شديد باكل يخنة السماني وملكة هولندا باكل الانخاذ المقلوَّة · وملك اسبانيا مولع باكل لحم البقر غير الناضج · وملك ايطاليا بنوع من الحلوى وقيصر روسيا بالسمك المقلوِّ بالزيت ورئيس جمهورية فرنسا بلحم الضان وملك انكلترا بالكستلاته المصنوعة من الضان ايضاً · وكان جدُّ ملك ايطاليا الحالي مولعاً بأكل الخبز والجبن حتى انهُ كان يأخذ منهما معهُ الى مراسح التمثيل

اكبر ماسة

وجد الكبتن جوغنسن الانكليزي ماسة كبيرة في جنوب افريقية وهي الآن في امستردام عاصمة هولندا حيث تقطع وتصقل وثقلها ٩٧١ قيراطاً وثمنها مئة الف جنيه

قضية طويلة

بين عائلتين ايطاليتين دعوى طويلة عريضة رفعت منذ اربعة قرون ولم تنتهِ الى الآن . والخلاف فيها على غابة واسعة مضت عليها هذه المدة الطويلة ولم يمس احد شجرة منها . وفي تلك الغابة بقع اقتتل رجال العائلتين فيها منذ مئتي سنة واهرقوا الدماء ولكنهم لم يفوزوا بطائل من ذلك ولا تزال الدعوى اليوم حيث كانت امس

ضحية العلم

كان احد اطباء النمسا يبحث في عدوى الطاعون فدخل قليلٌ من سمهِ جسمهُ عرضاً من جرح فأصابهُ الطاعون وتوفي بهِ سريعاً

مرض النوم والخيل

وجد الدكتور دتون والدكتور طد اللذان مضيا الى بلاد غامبيا ليبحثا عن مرض النوم انهُ يصيب السود والبيض على حدٍ سوى وان الخيل تصاب بهذا المرض او بمرض يشبههُ في اعراضهِ

العلم العملي

يمتاز العلم الطبيعي الآن بسرعة استعمالهِ وبناء الاعمال النافعة عليهِ فلم يكن احد يظن ان الهواء السائل يفيد علم الطب لكنهُ افادهُ على طريقة غير منتظرة فان ميكروب الحمَّى التيفويدية لا يصنع لقاح يقي منهُ الأَّاذا وضع

في الهواء السائل فانهُ يبرد حينئذٍ برداً شديداً ويصير ينكسر اذا سُحق فيصنع منهُ لقاح يقي من الحمى التيفويدية. ولم يشتهر امر الراديوم حتى صنع بعضهم اشارة صغيرة منهُ توضع على راس البندقية او المدفع فترى ليلاً باشراقها فتكون مرشداً لتسديد المدفع او البندقية الى الغرض

الاكابي في الآثار المصرية

لا يخفى ان السر هري جنستن اكتشف حيواناً في افريقية بين الفرس والزرافة سمي الاكابي كما يسميهِ اهالي البلاد التي وُجد فيها وقد ثبت الآن ان المصريين القدماء كانوا يعرفون هذا الحيوان فانهم صوروا معبودهم ست اخا اوسيرس بصورة انسان لهُ رأس حيوان يشبه رأس الاكابي ويظهر من ذلك ان هذا الحيوان كان موجوداً في وادي النيل منذ ثلاثة آلاف سنة وهو لا يوجد الآن الاَّ في اعالي الكنغو

خيل السباق

لا يعلم بكم كان العرب يقومون سوابق الخيل مع انهم كانوا يغالون بها جداً ولكن يظهر من بيع ابنائهم لاسبق جيادهم بخمس مئة جنيه الى ثمانمئة جنيه انهم لم يكونوا يغالون بها اكثر من ذلك اما الاوربيون فبلغوا من المغالاة بالسوابق في هذا العصر مبلغاً يفوق التصديق وهاك اثمان بعض خيول السباق التي باعوها حديثاً مع اسمائها

	جنيه
فلَينغ فكس	٢٧٥٠٠
اورمُند	٣٠٠٠٠
مدلر	١٤٥٠٠
لافلش	١٢٦٠٠
بلاراثول	١٢٥٠٠
سبتر	١٠٠٠٠
كيبيرر	٠٩١٠٠
ايسونومي	٠٩٠٠٠
بزيبَدي	٠٨٨٠٠
هرڤستر	٠٨٦٠٠
غالوبن	٠٨٠٠٠

واكثر البائعين والمشترين او كلهم من الانكليز

سرعة الرسائل البرقية

ارسلت جريدة التان الفرنسوية تلغرافاً قصدت ان يدور حول المسكونة ويعود اليها وهو كلمتان فقط "التان باريس" فعاد الى باريس الى مكتب التان في خمس ساعات ونصف بعد ان طاف حول المسكونة برّاً وبحرّاً وبلغت اجرتهُ ٦٥ غرشاً وسار بطريق مالطة وعدن وسنقافورة وبرسبان وڤانكوڤر ووصل الى السلك الفرنسوي في الاوقيانوس الاتلنتيكي الى اوربا فباريس مسافة اربعين الف ميل

فهرس الجزء الثامن من المجلد الثامن والعشرين

٦٢٥ البابا ليون الثالث عشر (مصوَّرة)
٦٢٩ اقتسام المسكونة (مصوَّرة)
٣٦٢ خليل غانم
٦٣٣ ناموس النشوء في تقدم العمران . لمتري افندي قندلفت
٦٣٧ منزلة الشعر من التاريخ . لامين افندي ظاهر خير الله
٦٤٢ التاز وبانيهِ (مصوَّرة)
٦٤٦ آثار البهنسى العلمية
٦٤٨ شرح الاحكام الشرعية
٦٥٠ الراديوم
٦٥٣ ربة الحسن والقلم . لمصطفى افندي صادق الرافعي
٦٥٤ مصرع ملاك . لنقولا افندي رزق الله
٦٥٥ عمران العراق
٦٦٠ التدوين في الاسلام . لمحمد افندي كردعلي
٦٦٤ مَنّ النبات
٦٦٦ حقوق الصحف والمشتركون فيها
٦٦٨ العرافة الحديثة

٦٧٦ باب تدبير المنزل * تمريض المرضى . مدة الهضم . خلاصة الاثمار
٦٨٢ باب المراسلة والمناظرة * سؤَال . المدارس السورية الانكليزية . مدرسة البنات الاميركية في طرابلس الشام . ردٌّ على انتقاد . حمة النحلة والزنبور
٦٩٢ باب الزراعة * مثال الاباعد . الهليون (كشك الماظ) . زراعة الموز . السماد ووزن القطن . موسم القطن
٧٠٢ باب المسائل * الخزان والهواء . الاحلام . هل الحب اختياري . حلم في حلم . امتناع البلى . الكنة والحماة . مدة سبي بابل . صناعة الخياطة . آلة الابصار . جمال الانكليزيات . صحة السيمياء . نمو الشعر . الحقد المسبب عن الاديان . فائدة الاديان . تاريخ الحشيش . هوس العلماء
٧٠٧ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ٢٠ نبذة
رواية كليو باطرة ملحقة بالمقتطف

الفصل السادس عشر

لما خرجت شارميان من عند الملكة واتت الى عرفتها لتنام وجدت بارين نائمة وانوكس قائمة في انتظارها فاخبرتها بما سمعتهُ من الملكة عن بارين لانها كانت تعلم انها تحبها منذ كانت طفلة وكانت تذهب الى بيت برنيكي وتسأل عن صحة ديون وتعود بالخبر اليها وكانت ايضاً تعرف فيلستراتس والكساس وتكرههما كرهاً شديداً لانها علمت بالفخاخ التي نصبها الكساس لصيد بارين . فلما قالت لها شارميان ان الملكة اذنت لالكساس في اخذ بارين ومحاكمتها تقطب حاجباها ولكنها اخفت ما خامر نفسها من الجزع لئلا يزيد اضطراب سيدتها . ثم لما سمعت ان سيدتها عازمة ان تستعين بارخبيوس اطمأنَّ بالها نوعاً لانها تعتقد انهُ احكم الناس غير انها كانت تعلم قصة الفارة والاسد قبل ان سمعتها من حكايات ايسوب وعلمت ان الصغير قد يفعل في تفريج الكروب مالا يستطيعهُ الكبير فانتظرت حتى نامت سيدتها وخرجت الى دار الخدم والتقت بعبد الكساس فملأَت لهُ كأساً من الخمر وجعلت تسقيهِ وتنادمهُ وتباسطهُ حتى حلف انهُ ليس افكه من حديثها تحت السماء . وفي الصباح قامت شارميان وخرجت من القصر فخرجت انوكس ايضاً والتقت بعبد الكساس وجعلت تمزح معهُ كما فعلت امس ثم سألتهُ مسائل كثيرة عن سيدهِ ووقفت على دخيلة امرهِ وهو لا يدري ولما عادت الى بارين وليس معها خبر عن ديون ورأت اضطرابها من جراء ذلك اعطتها كتباً لتتسلى بها وقالت لها اني ذاهبة الآن الى المطبخ لانهُ بلغني ان الطباخ اتى بشيءٍ من الفطر ليطبخهُ واخاف ان يكون سامّاً .

وخرجت من غرفة شارميان وسارت في سرداب ضيق يؤدي الى غرف الملكة ومنها الى غرفة ايراس فدخلتها واختفت وراء الستائر ودخل الكساس حينئذٍ وكلَّم ايراس في ما دبرهُ لبارين وخرج وخرجت ايراس ايضاً فعادت انوكس الى غرفة بارين وقالت لها انها وجدت الفطر سامّاً وقد طبخ ولا بدَّ لها من ان تذهب وتفتش عن ترياق لهُ . فقالت لها بارين اذهبي ولكن يحسن بكِ ان تزيدي فضلك وتصلي الى بيت امي فقالت نعم والشوق يفعل في القلب فعل السم ولا بدَّ من ترياق لهُ قالت ذلك وخرجت ولم تكد تصل الى الرواق الذي امام الباب حتى وقفت تتفكر في امرها واخيراً عزمت ان تستاجر حماراً وتذهب الى قنوبس وتقابل ارخبيوس وكانت الطريق الى حيث مرابط الحمير مزدحمة بالناس لكنها اخترقتهم كالسهم حتى اذا بلغت حماراً ووقفت لتركب عليهِ قالت للحمَّار علي مَ هذا الازدحام فقال انهم اتوا

ليهدموا بيت دديموس فقالت ولماذا وهو رجل صالح فقال بل هو خائن وهو سبب كل ما اصابنا من البلايا كذا قال لنا فيلستراتس اخو الكساس العظيم سمير انطونيوس وقال ايضًا ان ابنة ابنهِ وعشيقها نصبا الحبائل لصيد الملك قيصاريون ولولا الحرس لقتلاهُ وهو الآن جريح في سريرهِ. ثم التفت الى الحمار وضربهُ سوطين وقال لهُ خلّ الملوك يأكلوها مثلنا

ولما وصلت انوكس الى قصر ارخبيوس وجدت انهُ خرج مع صديقهِ تماجنس المؤرخ ونزلا الى الاسكندرية وعلمت ان شارميان سبقتها الى هناك ولكنها لم تجد ارخبيوس فعادت ادراجها. وجعلت انوكس تلوم نفسها لانها ركبت حمارًا بطيئًا . وكان اسطبل ارخبيوس مملوءًا بالبغال والجياد ولكن مَن هي حتى تتجاسر على طلب ركوبة منها الّا انها كانت مشهورة بما يفوق الحسب والنسب وهو صدق الكلمة واصالة الرأي فاخبرت رئيس الخدم ببعض ما جاءت لاجلهِ وبالخطر الذي يتهدَّد سيدةً يكرمها مولاهُ مزيد الاكرام فصدَّق كلامها واخرج مركبة من اسرع المركبات واركبها فيها وعاد بها الى المدينة واختار اخصر الطرق وهو الطريق المار بباب الشمس والعادة ان يكون هذا الطريق مزدحمًا بالمارَّة اما الآن فكانت الاقدام قليلة فيهِ لان اكثر الناس ذهبوا الى المرفإ ليروا السفن الراجعة من الاسطول ويقابلوا الملكة في رجوعها . ولما اقتربا من البانيوم رأيا جمعًا غفيرًا مزدحمًا والتفتت انوكس فرأت فيلستراتس واقفًا يخطب فيهم وهم يعارضونهُ ويقابلون صوتهُ باصوات ارفع منها ودنت منهم فوجدت انهم فرقة من الفتيان الذين رئيسهم ديون وكان قد بلغهم انهُ سُجِن فهاجوا وماجوا . وكانوا مخلصين للملكة ولم يستفزهم انكسار جيوشها الى المجاهرة بالعصيان بل كانوا قد جاهروا بقيامهم على ولائها كيفما تقلب الدهر عليها لكنهم لم يطيقوا ان يُعاقَب رئيسهم على عمل يعدونهُ فضيلة لهُ وكانوا مختلفين بين ان يطلبوا اطلاق سبيلهِ او معاقبتهُ عقابًا طفيفًا جدًّا لانهُ جرح قيصاريون ملك الملوك . ولو فعل قيصاريون مثل انطونيوس فنزل الى ميدان الرياضة معهم ومرَّن عضلاتهِ مثلهم لتعلقت قلوبهم بهِ ودافعوا عنهُ الآن بدلاً من دفاعهم عن ديون لكنهُ لم يفعل ذلك قط . ولم يجرح ديون قيصاريون بسيف ولا بخنجر وانما لطمهُ بجمع يدهِ كما يفعل المصارعون فادماهُ

وكان فيلوتاس وتلميذ دديموس اول من اخبرهم بما فعل ديون لكي يبادروا الى معونتهِ وكأَنهُ قصد بذلك التكفير عن ذنبهِ . وظن الفتيان انهم كفوءٌ لحماية رئيسهم من رجال الدولة لاسيما وانهم كانوا يعلمون ان كل الرجال المكدونيين من حزبهم وكذلك رئيس الحرس لان ديون من اعرق المكدونيين نسبًا والمكدونيون كلهم رجال اشداء ليس فيهم نكس ولا وكِل . وقد ابدوا بسالتهم الآن في صد فيلستراتس واتباعهِ عمَّا يبتغيهِ وهو تدمير بيت باربن

بعد ان دمروا بيت دديموس نعم ان هؤلاء الفتيان وصلوا متأخرين ولو وصلوا قبلاً لانقذوا بيت دديموس ايضاً ولكن بعض الشر ولا كلهُ

ولما وصلت انوكس الى بيت بارين وجدت امامهُ مركبة من مركبات القصر فظنت ان فيلستراتس جاء فيها ليقبض على ديون لكنها ما لبثت ان رأت سائق المركبة حتى عرفت انهُ جاء بجورجياس المهندس وكانت تعلم انهُ صديق ديون وهو الذي بنى لهُ قصرهُ فاطمأَنَّ بالها. ونزلت من المركبة ودخلت البيت فعلمت ان برنيكي ام بارين ذهبت مع ارخبيوس ورجل آخر روماني وان الطبيب منع ديون من رؤية الناس الّا الاخصاء فلم يدخل غرفتهُ احد الّا رجل من عتقائهِ وجورجياس . والغرباء اذا كانوا من بلاد واحدة سهل ائتلافهم وكان بواب بيت بارين وانوكس من بلاد واحدة فحالما رآها عرفها وفتح لها الباب وادخلها البيت واخبر ديون عنها فقال لهُ دعها تدخل . ورأت العتيق امام باب غرفتهِ وهو طويل القامة شائب الشعر لابس لبس البحّارة ولما دخلت حيَّاها ديون وقال لها ماوراءك يا انوكس . فلم تجب بشيءٍ بل اومأَت الى جورجياس كأَنها خافت ان تتكلم امامهُ فالتفت ديون اليهِ وقال لهُ هي فلانة وقال لها انهُ اعز الاصدقاء فلا نكتم عنهُ شيئاً . فتنفست الصعداء واخبرتهُ عن الخطر الذي يتهددهُ فقال لها ان الفتيان من حزبهِ والمجلس البلدي يدافع عنهُ لانهُ عضو منهُ . فلم تعبأ بذلك بل توسلت اليهِ ان يهرب الى ملجإٍ امين اينما كان . اما هو فلم يكن من رأيها بل قال ان عمهُ المهردار يستطيع حمايتهُ اذا عجز الفتيان والمجلس البلدي . فقصَّت عليهِ ما سمعتهُ من الكساس وايراس ولكنها لم تذكر ما قالاهُ عن بارين وبينت لهُ مقدار الخطر المحيق بهِ وكانت تتكلم وديون وجورجياس ينظر كل منهما الى الآخر ولم تكد تتم كلامها حتى دخل الرقيق وكان واقفاً امام الباب يسمع كلامها . فالتفت اليهِ ديون وقال لهُ ببشاشة أَأَنت هنا ايضاً يا بروس . فقال نعم يامولاي وارجو المعذرة على دخولي من غير ان تدعوني ولكن كان الباب مفتوحاً فلم استطع ان اسدَّ اذنيَّ عن سماع ما قالتهُ هذه الجارية

فقال ديون حبذا لو سمعت منها اخباراً تسرُّك ولكن سواءٌ كانت اخبارها مما يسرُّ او مما يسيءُ فهي مخلصة لنا ولا تنبئنا الّا بما تعلم . ويظهر لي انك انت ايضاً تعلم شيئاً يهمنا فقل ما تعلم ولا تخفِ شيئاً

فتنحنح بروس وقال بصوت اجش اذا كنتَ تثق بصدق هذه الجارية فيجب عليك يامولاي ان تترك هذا المكان حالاً وتلجأَ الى مكان آخر تختفي فيهِ وقد اتيت انا الان لاعرض عليك مخبأ لا يعلم بهِ احد فقد سمعتُ انك جرحت ابن الملكة وان حياتك في خطر فقلت في نفسي

قم يا ولد واسرع الى سيدك واخبره ُوساعده ُعلى الهرب . ولاننسَ انك عتقتنا ونحن مديونون لك ولابيك بكل ما نملك فبيوتنا وعيالنا تحت امرك . ومالي ولاطالة الكلام انت تعرف الجزيرة التي نقيم فيها جزيرة الافاعي لا يستطيع احد ان يصل اليها غيرنا على قربها من المدينة وقد قتلنا منها كل الافاعي منذ زمن طويل واولادي الثلاثة ديونيسس وديونيخُس وديونيكس كلهم سميتهم على اسمك وهم قائمون الآن في انتظارنا في ساحة السمك

فشكره ُ ديون على شهامتهِ وقال له ُ اني أعرف انهُ ليس آمن من جزيرة الافاعي حيث يسكن صديقي بروس وعائلتهُ ولكني لا استطيع ان افارق المدينة ما دامت بارين فيها وما دام بالي مشغولاً عليها

فلم يقنع بروس بذلك بل قال له ُ ان اولاده ُ كلهم يكونون تحت امرهِ ويأتونهُ باخبار بارين كل يوم مراراً وان امرأتهُ ونساء اولادهِ يكونون في خدمتهِ وهنَّ لا يخرجنَ من الجزيرة ابداً واذا دعت الحال ان يعود الى المدينة فلا اسهل من العودة اليها

فسرَّ جورجياس بهذا الرأي لكن ديون بقي مصرًّا على رفضهِ من اجل بارين. وكانت انوكس قد استطالت بقاءها هناك ورأت ان لا بدَّ لها من الذهاب لمقابلتهِ ارخبيوس باسرع ما يمكن ولكن كلام العتيق اخرها عن الخروج فقالت لديون اذهب معهُ يا مولاي وانا اخبر بارين بانك اردت ان ترفض النجاة اهتماماً بامرها ولكن ما فائدتها من اهتمامك بها اذا كان من ورائهِ هلاكك . ثم اخبرتهُ ببعض ما تعلمهُ مما يدعوه ُ الى مجانبة الخطر فرضي ان يذهب مع بروس الى جزيرة الافاعي وهمت انوكس بالخروج فاخذ يوصيها ببارين ويخبرها بما يريد ان تنقله ُ اليها من الاخبار وكان جورجياس قد رأى فيها خير معين له ُ على اتمام مقاصدهِ فانهُ عاد ذلك اليوم بعد ان شارف الاعمال الهندسيَّة التي كانت تُعمل لوصل بحر الروم بالبحر الاحمر ورأى انها لا تجدي نفعاً فقابل الملكة في الصباح بعد ان سرى الليل كلهُ وأذن له ُ ان يركب مركبة من مركبات القصر لانهُ كان ذاهباً لمشاهدة دار الاسلحة والسور الذي كان يبنى حسب طلب انطونيوس ولم يكد يبعد عن القصر حتى رأى جماهير الرعاع مسرعين الى بيت دديموس بالمجانيق لهدمهِ بتحريض فيلستراتس وجاء الفتيان لصدهم عن ذلك فلم يستطيعوا فاخترق الجمع ودخل بيت دديموس لكي يساعده ُ على النجاة هو وابنة ابنهِ وكان عبده ُ فركس قد سبقهُ الى هناك بالقوارب وبذل جهده ُ في اقناع دديموس ليترك بيتهُ وينزل في القارب ويذهب معهُ الى بيت مولاه ُ فلم يقبل لانهُ كان عازماً ان يقابل الغوغاء بنفسهِ ويقنعهم انهم مخطئون في عملهم وقد تهوروا وركبوا الشطط

ولما دخل جورجياس وراَهُ قال لهُ لا يليق بفيلسوف مثلك ان يلقي بنفسهِ في التهلكة وانت تعلم ان لحياتك شأنا كبيرًا في الدنيا بعد ان ارشدت الناس الى سبيل الهدى بكتاباتك الفلسفيَّة . فاقنعهُ بهذا الكلام وامثالهِ حتى يخرج من بيتهِ لكنهُ بقي مصرًّا على اخذ كتبهِ معهُ وكاد الجمع يخرب البيت ويقتلهُ قبلما خرج منهُ واخيرًا تمكن جورجياس من اخراجهِ هو وزوجتهُ وحفيدتهُ مع بعض الكتب والامتعة وانزلهم في قارب سار بهم الى بيتهِ . وبيتهُ كبير كثير الغرف تامّ الاثاث وليس فيهِ الاَّ خادم وخادمة كبيرا السن ولكن لم يطمئن بال دديموس ولا سكن روعهُ الاَّ بعد ان دخل مكتبة جورجياس ورأى فيها كثيرًا من نخبة الاسفار وبعض الكتب التي أَلفها هو (اي دديموس)

واخبر جورجياس انوكس بذلك موجزًا وقال لها انها تجد ارخبيوس في بيت اريوس الفيلسوف خال بارين وكان لا يزال طريح الفراش بعد ان داستهُ مركبة انتلس كما تقدَّم وكانت برنيكي هناك ايضاً . وطلب منها ان تخبرهم بما قصَّهُ عليها و بما عزم عليهِ ديون وهو مغادرة المدينة بعد ساعة من الزمان ولكن لا تخبرهم عن المكان الذي عزم على الذهاب اليهِ . فقالت ان اساني كالسمكة الصغيرة كثير الحركة ولكنهُ اذا شعر بالخطر سكن كالحجر والحكيم من استعمل عقلهُ ولو كان عبدًا اسود . قالت ذلك وخرجت فتبعها جورجياس وسألها عن كل ما تعلمهُ من امر بارين فاخبرتهُ ولم تخفِ عنهُ شيئًا فسألها عما اذا كان يمكنها المجيء بها الى هيكل ايسس بعد مغيب الشمس وهو ينقذها من الهلاك فوعدتهُ خيرًا وودعتهُ وخرجت . فدخل الى غرفة ديون واوصى بروس ان يعدَّ قاربهُ ويقف بهِ في مكانٍ وصفهُ لهُ بالتدقيق وصرفهُ ثم جعل يتكلم مع ديون وكان ديون يظن ان ارخبيوس وشارميان يستطيعان ان يقيا بارين من كل مكروه وان جماعة الفتيان واعضاء المجلس البلدي وجمهور المكدونيين كل هؤلاء لا يتركونهُ فقال لهُ جورجياس ان كل هؤلاء لا ينفعونك مقدار ذرة اذا هاجت نار الغيرة في صدر كليوباطرة وهذه النار متأججة الآن فابعد عنها جهدك

فقال ديون سلمنا بذلك ولكن انطونيوس سيعود حالاً ومتى عاد اطفأ نار الغيرة من نفسها وابان لها فساد ظنها . فقال جورجياس عسى ان يكون ذلك وانا لا اخاف من كليوباطرة وهي في ساعة الرضى جارية على مقتضى عقلها ولكني اخاف منها حينما تتغلَّب اهواؤُها على سلطان عقلها اما في الرضى فانها ملَك يُعبَد

فتبسَّم ديون وقال لهُ يظهر لي انك لا تزال معجبًا بها فقال جورجياس واي رجل لا يعجب بمن فاقت النساء كلهنَّ عقلاً وادبًا وجمالاً واعتدالاً . فقال ديون ان وضعتها في هذه المنزلة

فاين تضع هيلانة • فقال ان هيلانة لا مثيل لها بين فتيات الاسكندرية واما كليوباطرة فتفوق كل المخلوقات ولو نظرتْ اليك وعيناها مغرورقتان بالدموع كما نظرتْ اليَّ اليوم لجزت النار وخضت البحار لاجلها • وانا لستُ ممن يشجى بسرعة ولكنني لما سمعتها تتكلم عن القبر الذي طلبت مني ان ابنيهُ لها وهي تقول ان نوائب الدهر ستضطرها الى تجرُّع غصص المنون قريباً لم استطع ان اكفكف دموعي ثم قالت لي انها تعدُّني من نخبة اصدقائها ومدت اليَّ يدها فجثوت امامها لاقبلها فبللتها بدموعي اقول ذلك ولا اخجل بل افتخر واحسب كأنَّ شفتيَّ تتطهرتا بتقبيل تلك اليد

ثم انغض رأسهُ كأَنهُ يلوم نفسهُ على اضاعة الوقت في مثل هذا الكلام وقال ما لنا ولمثل ذلك لقد طلبتْ مني ان ابني لها هذا القبر ملاصقاً لهيكل ايسس ولو امكن ان يزول بيت دديموس لامكن مد الشارع الى البحر ويبقى هناك مكان واسع لقبر فخيم لا يفوقهُ الاَّ قبر الاسكندر الكبير ولكنها لم ترد ان تأْخذ بيت دديموس بالقوة ولذلك طلبت ان افتش لها عن مكان آخر اما الآن وقد هُدم البيت بالقدَر المحتوم هدمهُ اولئك الاشرار فلم يبقَ ما يمنع غرضها وسيأْتي العمال من قبلي الى بيت دديموس ومعي اوامر منها بان افعل كل ما اشاء وسأدخل هيكل ايسس وارى الغرف السفلى منهُ التي تحت الارض وانا واثق انني اجد فيها سرداباً يمكن انزالك منهُ الى البحر . ولقد احسنوا في اخفائهم عنك الخطر المحيق بك فانك اذا بقيت هنا الى الغد فانت هالك لا محالة وعمك لا يحرك اصبعاً لانقاذك لانهُ ضعيف العزم فاتر الهمة. والسرداب الذي اشير اليهِ موجود وهو يوصل الى حيث تتصل حديقة دديموس بالبحر ولا بدَّ من نقلك الى هناك الليلة وسيكون القارب في انتظارك فيأخذك الى جزيرة الافاعي وربما نستطيع اخذ بارين ايضاً

فرفع ديون يدهُ وقال لهُ انَّ لساني ليعجز عن شكرك يا اخي وما دمت عازماً على تخليص بارين ايضاً فلا يبقى لي شيء في المدينة اخشى عليهِ فيطمئن بالي فافعل ما تشاء جزتك الآلهة عني خيراً

فقال لهُ جورجياس لاتبنِ الآمال على الاماني فربما استطعنا اخذ بارين وربما لم نستطع واعتمادنا في ذلك على انوكس فهي ادرى منا لانها تعرف احوال الكبار والصغار وقد قالت لي ان تسليم بارين لا لكساس اسلم لها لان الخطر عليها ليس منهُ بل من سواهُ • قُوتلت الغيرة ما اقبحها وما اقل شفقتها والظاهر ان الذي تكثر عليهِ البلايا لا يعود يبالي ابلوى غيره على خلاف المنتظر

فقال ديون انا واثق انك تخلّص بارين من قبضتها مهما كانت الحال . فودعهُ جورجياس وخرج ولكنهُ لمّا مس يدهُ شعر بحرارة شديدة ورأى ان الحمى عاودتهُ فوقف يفكر في امرهِ ثم خطرله ُ ان كثيرين من المرضى يؤتى بهم الى هيكل ايسس للاستشفاء فاذا حملوهُ وذهبوا بهِ كمريض لم ينتبه احداليهِ ولكن من يحملهُ هنا العقدة لانهُ لا يستطيع ان يفشي سرهُ لاحد. ثم اوصى جارية بارين والبواب ان لا يدعا احداً يدخل غرفة ديون ما عدا الطبيب . ولما خرج رأى جمهوراً من الفتيان يمشون امام البيت كانهم قائمون على حراستهِ ورأى غيرهم جلوساً في الحديقة التي امامهُ وهم يتعاطون كؤوس الراح من الخمر التي ارسلها اليهم ديون ويهزلون ويضحكون كأن الزمان صفا لهم وعاهدتهم الايام فاشار اليهم بيدهِ مسلّماً فشربوا على صحتهِ وصحة ديون ورأى بينهم فيلوتاس فقال في نفسهِ ان هذا الشاب يساعدنا على حمل ديون الى البحر لانهُ اظهر الشهامة وكرم الاخلاق تكفيراً عن ذنبهِ فناداهُ واخبرهُ بما عزم عليهِ فسرَّ فيلوتاس بذلك وقال لهُ اني افعل كل ما تشاء

الفصل السابع عشر

عادت شارميان الى القصر بعد ان لقيت اخاها في بيت برنيكي فسلمت على ديون اولا ثم انفردت باخيها واخبرتهُ ان الملكة سلمت امر بارين لالكساس واطلعتهُ على كل ما تعلمهُ من امر الملكة ومن الاخبار فاضطرب اشد الاضطراب ولولا تماجنس لذهب من ساعتهِ الى الملكة واقنعها بالعدول عما امرت بهِ ولكن تماجنس جاء من رومية مرسلاً من اكتافيانوس لكي يكلم كليوباطرة في امر التسليم . وقد اصاب اكتافيانوس في اختيار هذا الرجل لانهُ كان استاذاً لكليوباطرة في صغرها ثم لما اشترك في الفتنة ضد الرومانيين قُبض عليهِ وأُخذ اسيراً الى رومية فافتدى نفسهُ واشتهر حالاً بعلمهِ وفضلهِ فقرَّبهُ اكتافيانوس اليهِ وارسلهُ في هذه المهمَّة الآن. وكان الاتفاق على ان ارخيبوس يقابلهُ في بيت اريوس اخي برنيكي ويتذاكر معهُ في ما يطلبهُ اكتافيانوس . ولم تشأ شارميان ان تذهب مع اخيها الى بيت اريوس لان مقابلة سفير اكتافيانوس في ذلك الحين لا تخلو من المحذورات السياسيَّة فتركت اخاها يذهب وحدهُ مع برنيكي الى بيت اريوس بعد ان وعدها انهُ يفعل كل شيء لانقاذ بارين ويقنع الملكة ببراءتها

وعادت شارميان الى القصر مكسورة الجناح شاعرة انها لم تفعل شيئاً لانقاذ بارين ولم تكد تدخل الباب حتى نظر اليها الذين تستخلصهم من الخدم بوجوه باسرة تدلُّ على انهم سمعوا اخباراً تسوءُها وحاول البعض الدنو منها لاخبارها بما بلغهم فلم تقف بل ظلت سائرة الى

ان التقت بالمهردار فاوقفتهُ وقالت لهُ ما الخبر . فقال لها لا خبر الاَّ اخبار السوء . فقالت قل لي اسوأها قبلما اقابل الملكة فقال ماذا اقول وكلها في السوء سواء عاد كنديدوس . فقالت هل دارت الدائرة على الجنود البرية ايضاً . فقال بل حدث ما هو انكى من ذلك انضموا الى العدوّ وهيرودس في مقدمتهم

فغطت وجهها بيديها وخنقتها العبرات . ثم قال لها لقد كنتِ مع الملكة لما عادت من اكتيوم . اما انطونيوس فذهب الى بريتونيوم وكان هناك جيش كبير كنا نظن انهُ يكفي لقمع العدو لاسيما وان قائدهُ بناريوس سكاربوس جندي محنَّك كنا نعتمد عليهِ كل الاعتماد فظهر انهُ خبيث خائن لما بلغهُ ما حدث في اكتيوم كاتَب اكتافيانوس في التسليم وقتل القواد الذين سفَّهوا رأيهُ ولم يشاءوا ان يجاروهُ على خيانتهِ اما حامية المدينة فاصرَّت على ولاء انطونيوس ولولها ما بقي حيًّا . وسيعود انطونيوس الينا الآن وينزل في القصر الصغير قصر الخوما

فقالت وكيف تلقَّت الملكة هذه الاخبار . فقال تلقتها بالصبر والسكينة امام رسول انطونيوس والقائد كنديدوس ولكن لما خرجا لم تعد تستطع صبرًا وخرجنا من حضرتها قبلما ثابت الى نفسها والآن لم يعد لنا همٌّ غيرها اواهُ يا شارميان ماذا حلَّ بنا واين ايام الصفا واوقات الانس كم كنت امني نفسي بقهر الرومانيين ودخول رومية دخول الظافر وكم اعددت لذلك من الرسوم والاناشيد ذهب كل ذلك ادراج الرياح

فقالت ما علينا الآن الاَّ ان نزيد همتنا ونضاعف قوتنا لكي نحفظ ما بقي . فقال هذا الذي كانت تظنهُ الملكة وتمني نفسها بهِ ولكنني رأيتها اليوم قد سلمت لليأس ووقفت حيرى والدموع ملء عينيها . وهي امام عيني دائمًا لا استطيع ان اصرف نظري عنها مع ان لي همًّا آخر اثقل كاهلي وهو ديون ابن اخي فقد اوصيتُ لهُ بكل ما امتلك لكنهُ ذهب ليقترن بابنة ليونكس المصور وقد كنت اود ان يقترن بايراس ابنة اخيكِ فاذا بقيَ مصرًّا على عزمهِ فلا بدَّ من تمزيق الوصية وحرمانهِ من الميراث لان الملكة تكره هذه المرأة شديد الكره وهي ليست من مقامنا . اما ايراس فمن اتراب ديون وكنت اتمنَّى دائمًا ان ازوجهُ بها وقد كان يحبها على ما اظن الى ان سحرتهُ هذه المغنية فاذا عاد الى ايراس حسبتهما ولدين لي واعطيتهما كل ما املك اما اذا بقي مصرًّا على عنادهِ فاني احرمهُ من ميراثي ولا اعود التفت اليهِ . وانا الآن مثل ابيهِ ويجب عليهِ ان يطيعني في كل ما آمرهُ بهِ والاَّ فهو ولد عقوق . وليس لي همٌّ الاَّ رضى الملكة فلا قيمة عندي لمن لا ترضى عنهُ

فقالت انك لا تغيظ الملكة اذا كنت تكلمها في امر ابن اخيك

فقال ولكن ماذا تفعل ايراس اذا علمت ذلك اتظنين انها تصبر على الضيم . فقالت كلاَّ ولكنها ليست اقدر مني عند الملكة فاذا اتفقنا كلانا فلا اظن ان الملكة تردُّ طلبنا . فقال كلاَّ اما انا فلا يهمني الأ الملكة ولا اعبأُ بغير سلامتها كسرت سفننا وتمزَّق شمل جنودنا وخاننا الذين كنا نعدهم انصارًا ومع ذلك لم اقنط من رحمة الالهة . قال ذلك وسار في طريقهِ

وسارت شارميان لترى بارين وانوكس قبلما ترى الملكة وتحاول تعزيتها فالتقت في الطريق بالاسكندر بن كليو باطرة وهو ولد صغير عمرهُ ست سنوات فلما رآها اسرع اليها وتعلق بها ونظر في وجهها وكان السرور يتدفق من وجههِ فرفعتهُ بيديها وضمتهُ الى صدرها وقبلت وجنتيهِ والدموع تهطل من عينيها فتخلص منها وابعد عنها لانهُ لم يعتد ان يقابلهُ احد وهو عابس باكٍ لكنهُ عاد اليها حالاً كأَنهُ اشفق عليها وامسك بيدهاوقال لها تعالي فاريك اجمل شيءٍ رأَيتهِ في حياتكِ . وسار معها ودخل حديقة القصر التي غرسها انطونيوس لاولادهِ وجعلها من بدائع الجنان وكان فيها بركة كثيرة السمك الذهبي والفضي ونيلوفر قرنفلي الزهر وبركة اخرى يسبح فيها البط الصغير الجسم وحولها ما يقصر عنهُ الوصف من الازهار البديعة الاشكال والالوان المجلوبة من كل اقطار المسكونة . وكان في الحديقة غار تظللهُ الاشجار الهندية الغضة وفي داخلهِ مقاعد وصور وتماثيل وادوات مختلفة مما يتسلى بهِ الاولاد ووراءهُ اسطبل صغير فيهِ اربعة خيول صغيرة القد مرقطة الجلد وهي هدية من ملك مادي . وفي مكان آخر حظيرة فيها من انواع الغزال والايَّل والنعام والظرافة عدا الطيور الكثيرة التزاويق من كل شكل واصواتها تملأ الفضاء . الاَّ ان الولد لم يعبأ بشيءٍ من ذلك بل ظلَّ جاريًا امام شارميان الى ان بلغ بركة النيلوفر واشار بيدهِ الى ساق شجرة وقال لها انظري فنظرت عش عصفور فيهِ خمسة فراخ صغيرة فلما رأَتهما الفراخ مدت اعناقها وفتحت افواهها فصرخ الولد انظري انظري ما اجملها والآن تأتي امها لتطعمهافرفعت شارميان الولد بيديها وجعلت تقبلهُ وسمعت حينئذٍ اخوتهُ ينادونهُ من وراء البيت الصغير المبني لهم فقال لها اريتك العش ولكني نسيت ان اقول لكِ ان اغاثا نامت وسمردس خرجت وبقينا وحدنا وقد كنتُ ذاهبًا الى البواب ليعطيني من خبز الذرة وهو يعطيني كل ما اطلبهُ منهُ وخبزهُ اطيب من خبزنا ونحن الآن فلاحون وقد ركسنا الارض وصار وقت الاكل هل نظرت البيت الذي بنيناه نحن بنيناهُ انا وسليني وهليوس وخطيبتي يوتابي بنيناهُ وحدنا وغدًا نبني الاسطبل لا نريد ان يراهُ احد اما انتِ فاني اريكِ اياهُ . وامسك بيدها وسار بها فرأَت التوأَمين هليوس وسليني (الشمس والقمر) ويوتابي ابنة ملك مادي التي خُطبت لهذا الولد وأُتي بها لتربَّى في قصور البطالسة . فلما رأَوها قاموا يعدون اليها

ويصرخون باصوات البهجة والسرور لانهم كانوا يحبونها محبة شديدة واروها ما عملوهُ واروها ايضاً لوحين خلصوهما من البحر بعد النوء الاخير وقفلاً وضعوهُ على الباب وكانوا يتسابقون في وصف اعمالهم وشارميان تباسطهم وتعجب بمهارتهم واذا برجل يناديهم ويقول لهم يكفي ما اضعتموهُ من الوقت. فالتفتت واذا هي بالملكة ويوفرونيون معلم اولادها مقبلين وقال يوفرونيون للملكة اني لا ارى بأساً بهذه الالعاب ولذلك سمحتُ لهم بها ولكن ان كنتِ لا تستصوبينها فاني امنعهم عنها . فقالت لهُ دعهم يلعبون ويسرون

ولما رأى الاولاد امهم تركوا كل شيء وركضوا اليها وشكروها لانها سمحت لهم ان يلعبوا وقالوا لها انهُ ليس في الحديقة شيء اعز عليهم من البيت الذي بنوهُ فيها وانهم يريدون ان يبنوا اسطبلاً

فقال لهم المعلم هذا كثير عليكم لان امامنا دروساً كثيرة قبلما تستعدون للامتحان وقد صار وقتهُ قريباً . فصرخوا كلهم طالبين من امهم ان تسمح لهم ببناء الاسطبل فسمحت لهم وقالت لنفرض اني اعطيتكم قطعة ارض بدل هذه الحديقة مثل ارض الفلاحين حتى تحفروها وتبنوا فيها بعد تمام دروسكم فماذا تقولون — فقالوا كلهم يكون احسن شيء الاَّ يوتابي فانها قالت بشرط ان آخذ لعبتي معي اللعبة الكبيرة التي انكسرت ذراعها لاني احبها اكثر من كل لعبي ولما قالت ذلك مسك هليوس بيد الاسكندر وقال لامهِ اما نحن فاعطنا قطعة ارض وخذي كل اللعب . فقالت لهم سأنظر مع معلمكم في هذا الامر في وقت آخر . ومضى المعلم وحينئذٍ وتبعهُ الاولاد وكانوا يلتفتون الى امهم مرةً بعد أُخرى وهم سائرون ويشيرون اليها بايديهم والسرور طافح على وجوههم

ولما غابوا وراء الانجم قالت شارميان للملكة مهما اكدرَّت السماء وتلبدت الغيوم فبهؤلاء الاولاد تشرق الظلمة وتزول الهموم

فقالت كليوباطرة قد يكون ذلك اذا لم يشب سرورنا بهم اكدار تنغص العيش وتمرر الحياة . فقد بلغتكِ اخبار الشؤم التي وصلتنا اليوم

فتنهدت شارميان وقالت نعم بلغتني كلها

فقالت الملكة اذاً تعلمين اننا صرنا على شفا جرف هارٍ وسيقع هؤلاء الاولاد في الهاوية مع امهم التعيسة اواه يا شارميان اواه يا عزيزتي

قالت ذلك والقت رأسها على صدر شارميان واخذت تبكي وتنتحب وظلت كذلك بضع دقائق ثم رفعت رأسها وكفكفت دموعها وقالت لقد افادني البكاء فغسل شيئاً من هموم نفسي

ما احسن الصديق وقت الضيق وويل لمن ليس له صدر يسند رأسهُ عليهِ

فقالت لها شارميان اسندي رأسكِ على هذا الصدر ما دمنا في قيد الحياة

فكررت كليوباطرة كلمتها الاخيرة "ما دمنا في قيد الحياة" وقالت ولكن ذلك لا يطول فقد قضيتُ اليوم ساعة وحدي وصمَّمت على الانتحار لانني لا استطيع الصبر على هذه البلايا الجيش تبدَّد والانصار هجروا ومزَّق الخوَنة قلب انطونيوس بخيانتهم ولا سبيل لانشاء الترعة بين البحرين كما قال لي جورجياس اليوم فخابت الآمال كلها وحبطت المساعي وبينا انا افكِّر في ذلك جاءني الاسكندر ليريني عشَّهُ في الحديقة والبيت الذي بناهُ الاولاد بايديهم كل ذلك اعاد اليَّ ذكرى الصبا والايام التي قضيناها في بستان ابيكِ . ابتدأت طفوليتي باضطراب السياسة وتقلُّب الاحوال — بنفي ابي وموت امي . والآن صار عمر التوأمين عشر سنوات وسيجرَّعان الغصص التي جرِّعتها انا لما كنت اصغر منهما . ولقد تحققتْ احلام الصبا فيَّ فجعلت احلم لاولادي ما كنتُ احلمهُ لنفسي وطالما تخيلتهم على عروشهم ملوكاً اعزَّاء وكانت الوسائل لذلك في يدي ولا سيما بعد ان امتزجت نفسي بنفس الرجل الذي احببتهُ في صباي . شملتهم بكل مظاهر الابهة والمجد لكنهم يتوقون الى الهرب من ذلك والعود الى الفطرة الاصليَّة الى الارض التي لم تزرع ولم تحرث حيث يجاهدون جهاد الحياة. الصبي طرح لعبهُ وعوَّل على نفسهِ وعلى ما توحيهِ اليهِ فطرتهُ والبنت لم تأخذ الاَّ لعبةً تدل على الطفل الذي ستربيهِ يوماً ما وقد اصابوا في ما طلبوا وسيكون لهم . لما كنت في سنهم كان لي غرض اسعى اليهِ بنفسي اما هم فحوَّطناهم بكل شيء ولم نترك لهم سبيلاً ليسعوا لانفسهم فيهِ فخير لهم ان يرجعوا الى حيث تربَّت امهم في صباها الى بستان ابيقورس سواء كان البستان الذي ربينا فيهِ او ما يماثلهُ حتى اذا كبروا احتقروا هذه السخائف التي تدهش العيون ولا تلذ للعقل وتمسكوا بما يدعو الى راحة البال اذا وُفقوا برجل يحذرهم من المضار التي تتضمنها تعاليم ابيقورس كما وفِّقتُ انا ووفِّقتِ انتِ والرجل موجود وهو اخوك ارخبيوس فانهُ الرجل الذي ربي على تعاليم ابيقوس فتمتع براحة البال في وسط المتاعب والمشاغب وهو يحب هؤلاء الاولاد لانهُ يحب امهم والاولاد يحبونهُ ويثقون بهِ ومرادي الآن ان اجعلهُ قيماً عليهم فاذا قبل ذلك قابلت الموت بوجه باش وقلب مطمئن وقد صار على الابواب لان جورجياس شرع في بناء القبر

فصرخت شارميان ما هذا الكلام يا مولاتي اؤكد لكِ ان الامر لم يبلغ هذا الحد فان اكتافيانوس ليس جائرًا بالطبع ولو لم يكن كريم الاخلاق مثل انطونيوس وعندي انهُ لا بدَّ من ان يتبصَّر في الامر ويعرض عليك الصلح لانهُ يعلم ان اهالي مصر يعبدونكِ عبادة

واذا شاءت الآلهة ان تزيد في نصراتهِ وسمحت ان شخصك المقدَّس يقع في يدهِ —

فصرخت الملكة : حينئذٍ يعلم ايُّنا اعظم حينئذٍ اريهِ كيف ازدريهِ ولو سلَّمتهُ الاقدار مفاتيح المسكونة بعد ان سلب ابن قصر ملكهُ

قالت هذا الكلام والشرر يتطاير من عينيها . ثم صمتت وارتخت بداها بعد انقباضهما وغيرت نغمة صوتها وقالت ستمضي اشهر قبلما يصير في درجة من القوة تمكنهُ من اقتحام هذه البلاد ولكن لا بدَّ من بناء القبر وقد رضيت الآلهة عن عملي فازالت المانع الوحيد الذي كان يمنع بناءهُ حيث ابد وهو بيت دديموس كما بلغني الآن من رسول جاء من عند جورجياس فيصير في المدينة قبران عظيمان هذا القبر وقبر الاسكندر بانيها الذي توفي لما كان اصغر مني سنًّا فكيف يحق لي ان احيا اكثر منهُ بعد واقعة اكتيوم المشومة . واظن ان انطونيوس يصل بعد بضع ساعات

فقالت شارميان وهل تقابلينهُ وانتِ في هذه الافكار وفي هذه الحالة

فقالت كلاَّ لانهُ لا يريد ان اقابلهُ . وانا اعرف سبب ذلك . ويلاهُ من غير طبعهُ حتى جعلهُ يحب الوحشة بعد ان كان آنس الناس — حتى صار يتجنَّب اعز الناس اليهِ بعد ان كان يهشُّ لكل احد . وقد اراد العزلة في قصر الخوما فذهبت ايراس الى هناك لترى هل كل شيءٍ معد لهُ وتأخذ لهُ الازهار التي يحبها . لا ادري كيف استطيع ان امتنع من مقابلتهِ بنفسي آه يا شارميان كيف تغيرت الاحوال كيف كان ينزل الى البر كالجبار على وجههِ نور البشر وفي عطفيهِ جلال الالهة يرفع صوتهُ حينما يحييني فتظنين ان اسماك البحر اجتمعت لتشاركهُ في التحية وسعوف النخل ارتجفت من سماع صوتهِ حلم حلمتهُ في الصبا فحققتهُ الايام وشملتنا شمس الحياة وورودها . من يوم قابلناهُ في بستان ابيكِ واعطاني طاقة الازهار من ذلك الحين رأيتُ فيهِ عنوان القوة التي لا تقاوَم ومثال البشاشة التي تفيض فتشمل كل الناس اما الآن فصار كثير الهواجس ولكن لا يمكن ان يبقى كذلك لا بدَّ من ان يعود الى بهجتهِ الاولى ويعبر باب القبر مع المرأة التي احبها واحبتهُ لانهُ لا يزال يحبني والاَّ فلماذا تبعني الى هنا مع اني لم استخدم الكاس هذه المرة . والقلب الذي انفتح لهُ وهو في صدر فتاة صغيرة السن لا يزال مفتوحًا لهُ وسيبقى كذلك ابد الدهر الا استطيع ان اذهب الى المرفإ وانتظرهُ هناك . انظري هل ازالت ادوية اولمبوس الغضون من وجهي

فقالت لها شارميان لم تكن الغضون ظاهرة فيهِ الاَّ قليلاً جدًّا اما الآن فلا يُرى فيهِ شيءٌ منها وقد اتيتكِ بالعقاقير الاخرى التي وصفها اولمبوس

فقالت الملكة لا ترفعي صوتك لان في هذه الحديقة مخلوقات كثيرة ويقال ان الطير تسمع الكلام وتنقلهُ . قالت ذلك باسمةً فنظرت شارميان اليها وقالت اين عينا انطونيوس نربانك الآن . فقالت كليوباطرة هذا هو التملُّق بعينهِ لكنها قالت ذلك ونور السرور يتدفق من وجهها . ورأت شارميان حينئذٍ ان قد حان الوقت لتكلمها في امر بارين فلم تكد تشير اليها حتى انتهرتها كليوباطرة بقولها أَعِدْنا الى القصة القديمة أَلا تعلمين انني منعتك من الكلام في امرها لاسباب كافية . لا بدَّ من رجوعي الآن الى شغلي . قالت ذلك وادارت وجهها وخرجت من الحديقة

وعادت شارميان الى غرفتها وقد اعتادت ذلك من كليوباطرة فانها كانت تعلم انها جمعت بين رقَّة النساء ودعتهنَّ وحذقهنَّ وحبهنَّ واباءة الرجال وهمتهم ونشاطهم وصرامتهم . وقد رأتها تبذر اموال بلادها وتقدم الاهتمام بجمال وجهها على الاعتناء بمهام مملكتها وتنسيها الغيرة النسائية مبادئ العدل والحنان وهما من اخص صفاتها ويحملها الغيظ على القسوة ودوس الانصاف مع حبها لبلادها وشعبها وتمسكها بتعاليم ابيقورس . وانفتها التي رفعتها عن الدنايا وطموح نفسها الى المعالي الذي دفعها الى اشرف الاعمال قاداها احيانًا الى امور ندمت عليها شديد الندامة . لما كانت صغيرة لم تكن تطيق ان يسبقها غيرها في شيءٍ بل تحاول ان تكون الاولى في كل شيءٍ ولذلك فاعطاء انطونيوس لبارين سوارًا مثل السوار الذي اعطاها اياهُ كان اكبر دافع دفعها الى الانتقام منها

وقد شاهدتها شارميان تعفو عن المجرمين حتى الذين اعتدوا عليها بالذات ولكن وضع انطونيوس لها مع بارين في كفتي ميزان واحد ذنبٌ لا يغتفر ولا يحتمل ولقد اخطأَ في ذلك فوقعت نتيجة خطائهِ على تلك المسكينة

هذه الخواطر جالت في بال شارميان وهي راجعة الى غرفتها من الحديقة فدخلتها وقد اخذ التعب والقنوط منها كل مأْخذ لكنها كانت ترجو ان تجد في بارين شيئًا من اطمئنان البال وبشاشة الوجه على ما عهدتهُ فيها والتفتت الى الحراس وهي سائرة فلم تجد في وجوههم شيئًا يدلُّ على انهُ حدث حادث مكدر في غيبتها ففرُج بعض كربها ودخلت غرفتها وكانت معتادة ان تلقى فيها انوكس حال دخولها فتأْتي وتنزع قناعها عن رأْسها ورداءها عن كتفيها وحذاءها من رجليها اما الآن فلم يلاقها احد. ودخلت الغرفة الثانية فاذا بارين فيها وهي تبكي وتنتحب لانهُ جاءها كتاب من الكساس في غيبة بارين يقول لها فيهِ ان الملكة امرتهُ ان يحقق قضيتها في الصباح التالي ويظهر لهُ الآن ان الجناية ثابتة عليها واذا لم تعسّر الامر عليهِ

بخشونتها التي عاملتهُ بها قبلاً فهو يرجو ان ينجيها من السجن والاشغال الشاقة في المناجم اوممَّا هو شرٌّ من ذلك . وان الجهالة التي ارتكبتها في ما فعلتهُ مع الملك قيصاريون قد هاجت غيظ الجمهور عليها حتى اظهروا غيظهم بتخريب بيت جدها. ولاشيءَ ينجي ديون من غضب الشعب لان وقاحتهُ دفعتهُ الى الاعتداء على ابن ملكتهم وانهُ هو (اي الكساس) يعلم انها ستفقد صديقاً صدوقاً ووليًّا اميناً بفقدها ديون لكنهُ هو مستعد ان يقوم مقامهُ اذا لم يمنعهُ تصرُّفها عن الجمع بين العدل والرأفة

لما اطَّلعت شارميان على هذا الكتاب المحكم وما فيهِ من الخبث والدهاء علمت سبب بكاء بارين ورثت لمصابها واخذت بارين تهيل الشتائم على رأس الكساس تبريداً لغاتها لانها كانت تعلم دناءتهُ وخبثهُ وتكرههُ اشد الكره لكن كرهها لهُ لم ينجها من خوفها منهُ فتنازعها عاملا الكره والخوف وكلٌّ منهما نار آكلة

وكان يُنتَظر منها ان تسأل شارميان عما دبّرتهُ في امرها وعن الحوادث التي حدثت اخيراً وتأثيرها في البلاد لكنها لم تسأل عن شيءٍ من ذلك بل سألت عن ديون وجرحهِ وزمن شفائهِ وما ينتظرهُ منها لهُ كأنها لا تهتم باحد سواهُ

ولم تسطع شارميان ان تجيبها عن اكثر مسائلها فزاد انشغال بالها ثم لما قالت لها شارميان انها لم ترَ ديون الاَّ بضع دقائق أُسقط في يدها وتولاَّها اليأس . وقد كانت بالفطرة صبورة قوية الآمال اذا غابت عنها شمس المساء سُرَّت بان شمس الصباح تشرق قريباً امَّا الآن فرأت في يد كليو باطرة القلم الذي توقَّع بهِ الامر بقتلها وقتل ديون وتصوَّرت اختها وجدَّها وجدتها مطروحين تحت انقاض بيتهم مهشمين لا منقذ لهم ولا معين وكأنها سمعت باذنها صوت الكساس وهو ينادي الجلاَّد ليدني الدهق منها ويمزق بهِ اعضاءها. وقالت ان انوكس لم تعد حتى الآن لانها لم تجد ديون ولو وجدتهُ لعادت اليَّ بالخبر اليقين فلا بدَّ ان يكون قد قيد الى السجن مثقَّلاً بالاغلال ان لم يكن فيلستراتس قد حمل الغوغاء على جرهِ في الشوارع جرًّا

ولم تكتفِ بتصوُّر ذلك بل جعلت تهذي كمن أُصيب بدخَل في عقلهِ وكأنَّ هذه الهواجس حقائق تراها بعينها وتسمعها باذنها فجعلت شارميان تلومها مرة وتحاول اقناعها اخرى بفساد اوهامها وهي تضمها الى صدرها وتظهر لها الحب والحنان واخيراً اقنعتها بالقيام والوقوف امام كوَّة تطلُّ على البحر لكي تستنشق النسيم الطيب . وكانت الشمس قد دنت من المغيب وتوارت وراء غابة من سواري المراكب ونشرت على الافق ثوب الارجوان فاشارت شارميان الى ذلك اللون وقالت لها ان اباكِ كان من امهر المصورين في تصويرهِ قالت لها ذلك لتشغل

بالها بموضوع آخر اما هي فذكَّرها هذا المنظر منظرًا مثلهُ رأتهُ مع ديون اخيرًا فخنقتها العبرات وجعلت تبكي وتنوح . فضاقت شارميان بها ذرعًا واعتنقتها ووقفت حيرى لا تعلم ماذا تفعل وفُتح الباب حينئذٍ ودخلت انوكس

وكانت شارميان قد استطالت غيابها واوجست منهُ شرًّا وزادت قلقها لما رأتها داخلة الآن كاسفة البال والعرق يتصبب من جبينها وشفتاها صفراوان كالكركم . اما هي فحيت سيدتها وبارين واعتذرت عن طول غيبتها وقالت لبارين ان ديون يكاد يشفى تمامًا . وغمزت سيدتها بعينها لكي توافيها الى غرفة اخرى ولم يفت ذلك بارين فتوسلت اليهما ان يطلعاها عن كل شيء فقالت شارميان لانوكس ان تتكلم على مسمع بارين فشرعت في الكلام واخبرتهما بالاختصار ان اصدقاء بارين ينتظرونها في مكان معين بعد ساعة من الزمان . فقالت شارميان هذا ضرب من المحال فان القصر مملوء بالحراس والكساس وايراس لا يغفلان طرفة عين وقد وضعا الحراس في كل مكان حتى تحت الشبابيك

فقالت انوكس قد لاحظنا كل ذلك وسأُخبركما بخلاصة ما قرَّ القرار عليهِ ولكن خوفًا من اضاعة الوقت ارجو من السيدة بارين ان تسمح لي بالشروع في عملي حالاً وهو تسويد وجهها وتجعيد شعرها حتى تصير مثلي فثقي بي ايتها السيدة وساخبرك بكل شيء وانا جارية في عملي ولكن لا يسعني الوقت للتفصيل . فقالت بارين فهمت ما تريدينهُ وهو اني اهرب وديون بالاقيني وهذا اقرأهُ جليًّا في وجهكِ الآن

وقد كان كذلك لان وجه انوكس على قبحهِ كانت اماراتهُ تدلُّ على ما خامر نفسها من السرور فقالت لبارين ان قلب المحب اقدر على النبوَّة من كاهن سرابيس نعم يامولاتي لا بدَّ لهُ ولكِ من الابتعاد عن هذهِ المدينة لان الشر يتهددكما كليكما ونجاتهُ محتومة واما نجاتكِ فتوقفة على حكمتكِ وشجاعتكِ واول شيء علينا عملهُ ان اغير لونكِ واصيركِ مثل اشنع جارية في الدنيا اي مثلي حتى تخرجين من هنا كانكِ انا . ولا يسهل عليَّ ذلك وجلدكِ كالعاج وشعركِ كالذهب وانا ذاهبة الآن لاجلب الادهان والثياب قالت ذلك وخرجت كالبرق

فانطرحت بارين بين يدي شارميان وهي تبكي وتضحك معًا وقالت ان بقيتُ سوداء كالليل ومحدودبة كالقوس لا ابالي ما دام ديون يحبني بل اخوض لاجلهِ الماء واجوز النار واصفح عن كل من اساء اليَّ

ورأت شارميان ان الامل رفع بارين من بالوعة اليا س الى قنن السعادة اما هي فكانت كلما نظرت في الاصباغ السوداء التي احضرتها انوكس يزيد بلبالها وترى مصاعب جديد لا

يمكن التغلُّب عليها

واخذت انوكس تصبغ وجه بارين ويديها ورجليها وكانت شفتاها تتحركان كما تتحرك يداها وقصّت جانباً من شعرها وجعدت بعضهُ وهي تقصُّ عليها ما دُبِّر لخلاصها وخلاص ديون. وبارين تزيد بهجة وشارميان انقباضاً وخوفاً لانها كانت تعلم ان في عملها نقضاً اكيداً لاوامر الملكة الصريحة وانهُ اذا كُشف فعواقبهُ وخيمة جدًّا على بارين وعلى الملكة ايضاً لان غضب الملكة واشمئزازها لا يبقى لهما حد ولاسيما اذا عرفت ان اخلص الخلَّص لها عصوا امرها وخدعوها. ثم انها هي وقفت نفسها على خدمة الملكة وراحتها فكيف تُقدِم على ما ينغص عيشها في اشد الاوقات ضيقاً . نعم ان مساعدة الساعين في نجاة بارين تنجي الملكة من الندامة اخيرًا فضلاً عن ان نجاة المظلوم فرض واجب على كل احد ولاسيما اذا كان صديقاً تتعشقهُ النفس لظرفهِ ولطفهِ ولكن القيام بهذا الفرض يضطرها الى دوس فرض آخر كان ولا يزال غرض حياتها وهو ارضاء الملكة وازالة كل ما يؤلمها ومقام الملكة في نفسها ارفع من كل مقام ومرضاتها اوجب من كل مرضاة . هذه الافكار المتناقضة تنازعت نفسها واقلقت بالها ثم نظرت الى ما تشعر بهِ لو فازت بارين بالنجاة فوجدت انهُ السرور المحض والراحة التي ما فوقها راحة لكنها انفت من صبغ وجهها وقص شعرها وقالت في نفسها حرام علينا ان نشوه هذه الطلعة البهيَّة ثم رأت بعد التفكير ان لا بدَّ من ذلك فرضيت بهِ مكرهةً

وكانت انوكس قد اتت برسالة من ارخبيوس لشارميان فسلمتها اياها واذا هو يقول فيها "سلام من ارخبيوس لاختهِ شارميان . يصعب عليكِ كما يصعب عليَّ ان نشترك في هذه الخديعة ولكن لا بدَّ من انقاذ هذه الابنة اكراماً لابيها ولذلك فعليكِ ان تاتي بها الى هيكل ايسس عند زاوية المتحف فتجدي ديون هناك ويُكتَب كتابهما في الهيكل ولا تطول غيبتك عن القصر لقرب الهيكل منهُ ولا تخبري بارين بشيءٍ مما دبرناهُ لئلا نفشل فيزيد نغصها"

فلما قرأت شارميان هذا الكتاب زالت الكآبة التي خامرت نفسها اولاً وانقدت غيرتها فصار همها الوحيد انجاح ما دبرهُ اخوها وانقاذ ابنة ليونكس الذي كانت تحبهُ يوماً ما . وتمَّ تسويد بارين حينئذٍ ووقفت امامها محدودبة الظهر بثياب انوكس فاطمأَن بالها وايقنت بنجاتها وقالت لها هيَّا بنا فانهُ يجب ان تسيري معي كأَنكِ انوكس فسارت وهي لا تدري كيف تشكر تلك الجارية الفاضلة ولم تستطع ان تعانقها لئلاَّ يزول الصباغ لكنَّ عينيها عبَّرتا عمَّا يخالج ضميرها

(ستأتي البقية)